الرحـــــلة

محمد متولي

الرحلة / مجموعة قصصية

محمد متولي

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١ش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ – ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

محمد العرفي

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/٩٧٨٢

I.S.B.N: 978-977-6297-11-1

الرحـــــــلة

مجموعة قصصية

محمد متولي

الطبعة الأولى

٢٠٠٨



دار اكتب للنشر والتوزيع



بعيدًا عن الحب

لم تكن تعلم بالتحديد ماذا تريد من كل ما تفعل ؟ أتحبه ؟ أتريده في حياتها مرة أخرى ؟ أتريد أن تفسد علاقته الجديدة ؟ ولماذا ؟ لا تعلم ، مجرد شيء جديد ممتع....



لا تجد أي تفسير لكل ما حدث في الأيام القليلة الماضية،لقد فوجئت بانقلاب عنيف في حياتها اليومية وفي مشاعرها.

بدأ كل شيء منذ رأته بجوارها في إشارة المرور،كانت تقود سيارتها وإذ بها تلمحه بجوارها،وعلى الفور همت أن تدير رأسها خوفًا من أن يراها،ولكن قبل أن تفعل ذلك لفت انتباهها أنه لم يكن بمفرده،كانت تجلس بجانبه فتاة،همست لنفسها أنها فتاة ولكن في أعماقها لم ترها مجرد فتاة،فقد كانت باهرة الجمال، وبدلاً من أن تدير رأسها أخذت ترقبهما متسائلة:من هي؟ وماذا تفعل بجواره؟وأين كانا حتى هذا الوقت المتأخر من الليل؟

أدارت عجلة القيادة لتتبعهما،بينما بدأ صوت بداخلها يتساءل:

- ما شأنكِ بهما؟ألم تنهي كل ما كان بينكما؟أنسيتِ محاولاته المستميتة للتقرب إليك وخطب ودك؟أنسيتِ مدى تعلقه بك؟وبالرغم من كل ذلك كان قرارك: "إيهاب إنسان رائع بس..مش قادرة أحس ناحيته بأي حاجة".

لم تعطيه الفرصة و لم تمهليه ولو أيام لتتأكدي من مشاعركِ، أو ليثبت لكِ صدق مشاعره، وتعجلت النهاية كشأنك دائمًا قائلة " خلينا أصحاب أحسن".

ولكنه لم يفقد الأمل،داوم على الاتصال بـــك،فلم تـــردي عليه،إلى أن انقطع فجأة حتى أنك لم تلحظي هـــذا الانقطـــاع المفاجئ إلا بعد أن قابلتيه الآن.

– نعم أذكر كل ذلك ومعي كل الحق فيما فعلت فلم أشعر نحوه بأية عاطفة.

– إذاً مالكِ الآن متلهفة على متابعته ومعرفة شئونه الخاصة؟

– لا أدري..لا أدري..أريد أن أعرف.

أخذت كل هذه الأفكار تتضارب في رأسها وهـــي توجـــه عجلة القيادة لتتبع سيارته،كانا يتحـــدثان ويـــضحكان بينمـــا فضولها يزداد.تبعته إلى أن أوقف السيارة،ونزلت الفتاة وانتظـــر قليلاً إلى أن دخلت إحدى البنايات ثم مضى في طريقه..ومنـــذ ذلك اليوم وهو يشغل جزءاً كبيراً من تفكيرها،وإذ بالفـــضول يزداد،حتى أصبحت لا تفكر إلا فيه وفيمن كانت معه.أخـــذت تتحين الفرص لتخلق مناسبة للكلام معه،فهي تارة تنتظر أمـــام بيته وتارة أمام بيت الفتاة..وبعد طول انتظار جاءتها الفرصـــة، كانت تتبعهما كعادتها إلى أن أوقف سيارته بالقرب من ســـوبر ماركت كبير ونزلا..ونزلت هي خلفهما..ودخلت..وأخـــذت تبحث عنهما بعينين منتبهتين وعقل يحضر الحوار.

لقد بدا عليه اضطراب شديد وهو يراها، أما هي:

ـــ إيهاب..إزيك؟..مش معقول!إيه الصدفة الجميلة دي؟إيه يا عم فينك؟هو ما كانش عيش وملح ولا إيه ؟واحشني مـــوت إيه أخبارك؟

- إزيك.. لم يمد يده ليصافحها بـــل مـــدت يـــدها هـــي، وصافحته في حرارة شديدة، لم يعهد فيها كل هذه المظاهر الـــتي تبدو صادقة!طالما واجه منها البرود والفتور بل والـــسخرية في بعض الأحيان.

- أنت غيرت نمرتك ولا إيه؟بقالي مدة بحاول أكلمك مش عارفة أوصلك!القيتك ما بتسألش،قلت أســـأل أنـــا إيـــه مـــا وحشتكش؟!

وأعطت الجملة السابقة كل الدلال الذي تستطيع أنثـــى أن تعطيه.

- أ أ أيوة...أ أصلي جبت خط جديد،انتي كنـــت عـــايزة حاجة ؟!!

- لا أبداً.. بقولك كنت واحشني وقلقت عليك بس أديني شفتك ياللا بقى إديني نمرتك الجديدة .

لم تعطه فرصة للتراجع أو التردد فقد أمسكت تليفونها المحمول استعدادًا لتسجيل الرقم،فأعطاها الرقم الجديد.

ـ أوكي.. أنا مبسوطة قوي إني شفتك النهاردة يا هوبا، هبقى أكلمك وأنت ما تختفيش كده يا وحش،باي .

وهكذا نفذت الخطة بمنتهى الدقة كممثلة محترفة، لم تعطِ الفتاة أي اهتمام وكأنها لم ترها..انتظرت في سيارتها ترقبهما، ولم يخب ظنها فقد رأتهما يخرجان..ومن بعيد لاحظت أنهما كانا يتشاجران،ابتسمت، وهي ترى كل هذا..

ثم أوصل الفتاة إلى بيتها وذهب هو إلى بيته بالرغم إن الوقت لم يكن متأخرًا..لقد أفسدت يومهما .

وكأنها حصلت على كنز ثمين..رقمه..أخذت تبعث إليه الرنات والرسائل وهو يجيب تارة ولا يجيب تارة أخرى أو يبعث رسائل شكر في غاية الرسمية.

أخذت تتساءل ماذا حدث له؟أين ذهب كل ما كان به من تعلق وشوق؟هل تمكن من أن ينساها حقًا؟لم تكن تعلم بالتحديد ماذا تريد مما تفعل؟أتحبه؟أتريده في حياتها مرة أخرى؟ أتريد أن تفسد علاقته الجديدة؟ولماذا؟لا تعلم..مجرد شيء جديد

ممتع..كانت تستمتع باللعب بمشاعره والعبث بحياته بهذا الشكل،كان لديها شعور قوي بخطأ ما تفعله،ولكن الفضول كان أقوى ومتعة الاستكشاف والترقب كانت بلا حدود .

أما اليوم ... فقد حادثها ليصدمها:

- أنا كتبت كتابي يوم الخميس اللي فات،والفرح كمان أسبوعين.

لم تستطع أن تخفي صدمتها، فجاء صوتها مرتعشًا وهي تقول:" مبـ...مبروك ".

نهضت يملؤها الكبرياء والتحدي وهي تقول لنفسها :

" وماذا يهم؟فليفعل ما يحلو له، أنا التي رفضته قديمًا ومازلت رافضة له،بل إني موقنة أنه فعل كل هذا لينساني،لن أذكره بعد الآن.."

وأمسكت تليفونها المحمول لتمسح رقمه،وهي تعلم تمام العلم أن هذا الرقم مدون في ذاكرتها..إلى الأبد .

الطـريق

"إني ضائعة حائرة لا أعرف ماذا أفعل ولا ماذا سيحدث غداً، كيف سأواجه كل هذا ... كيف أصلح ما أفسده الحب مرة أخرى ؟ ليتني كنت أحمل قلبا قاسيًا كقلب أمي"



أحقًا ما يقولون أن التاريخ يعيد نفسه،وأنه كما تدين تدان؟

لقد مررت بهذا الموقف منذ سنوات بعيدة،أما الآن وبعد كل هذه السنوات وبعد أن طواه الزمان وأهال عليه تراب النسيان أجد نفسي في هذا الموقف المضاد ؟

ربي..أهذا هو انتقامك الذي ظللت أترقبه إلى أن نسيت وجوده وتصورت أنك قد غفرت لي،وأوهمت نفسي أنك منحتني عفوك!!منذ أكثر من عشرين عامًا كنت فتاة بريئة ساذجة غارقة في الرومانسية، وكان في حياتي شخص رائع... كنت أحبه فقد كان أول من خفق له قلبي،قضيت معه سنوات من السعادة والحب،سنوات لم أكن أحفل بأي شخص غيره، ولا بأي شيء إلا بذلك الحب فقد ملكني، ملك قلبي و.. ونفسي،نعم..أعطيته نفسي دون أدنى شعور بالذنب،بل على العكس كنت أعتقد أنه يجب عليَّ أن أمنحه كل شيء،حتى تركت له نفسي لأسعده وأبقيه بجانبي.

وفجأة .. انتهى ما كان بيننا!

تركني أعاني شوقي إليه ووحدتي بدونه ولهفتي عليه،ثم أعاني مع كل هذا شعورًا قاتلاً بالذنب.

بدأت أفيق على تلك الحقيقة المروعة،أنا خاطئــة..زانيــة ..كان قد وعدني بالزواج وأكد لي أنه لن يتركني مهما حدث، ولهذا لم يعطني الفرصة لأحتاط لمثل هذا الموقف..

لم أجد من أستشيره أو أطلعه علــى مــصيبتي،فلم يكــن باستطاعي أن أطلع أمي على ما حدث،فقد كانــت صــارمة، قاسية القلب..

وهكذا كان عليَّ أن أواجه هذا الموقف العصيب وحــدي، كان لابد أن أصلح ما أفسده الحب..

قضيت سنوات طويلة وأنا أكتم ذلك السر بداخلي،ولم أطلع عليه مخلوقًا،حتى أعز صديقاتي،كنت أعلم أنــه خطئــي، ولهذا كان عليَّ أن أواجهه وحدي دون مساعدة،ثم بدأت أعتاد ذلك الإحساس الدائم بالذنب،والذي سبب لي كرهًا شــديدًا لنفسي ولذلك الماضي السعيد،بل ولكل ما يقال عــن الحــب والرومانسية،فألقيت كلمة الحب من قاموس حياتي،ولقد نجحت إلى حد كبير.. بدأت أوقظ عقلي من سباته العميق،وأعمل على تنشيطه وخاصة فيما يخص أمور الزواج،فلم أكن أرى ما يمنعني أن أتزوج..

بدأت بحثًا مستفيضًا عما كنت فيه،وعرفت الكثير والكثير، رسمت خطة محكمة ونفذتها على أكمل وجه،بدءًا من تدبير المال اللازم لإجراء العملية الجراحية حتى خروجي من عيادة الطبيب، وأنا عذراء من جديد!!وانتقيت أكثر من تقدم لي ثراءً ووسامة، وسرعان ما تم تحديد موعد الزفاف،وقبل ذلك اليوم بعدة أيـــام ذهبت إلى ذلك الطبيب وأخبرته بكل شيء فأكد لي ســـهولة العملية ونجاحها،كان معي بالفعل جزءًا كبيرًا من المال الـــلازم، وحصلت على الباقي بأن قمت ببيع بضعة حلي ذهبية لم يلحظ أحد اختفاءها وسط هذه الثروة التي أمتلكها.

كانت المشكلة الرئيسية هي يوم إجراء العملية،ثم ســـاق لي القدر الحل،"سوسن" صديقتي التي ذهبت مع أسرتها في ذلـــك اليوم إلى أحد الشواطئ،وكنت قـــد أخـــبرت أبي وأمـــي أني سأذهب إليها في ذلك اليوم،ثم ســـنذهب ســـويًا إلى إحـــدى السيدات التي تقوم بعمليات التدليك والتنظيف اللازمة للعروس قبل الزفاف، ولهذا سأغيب طوال اليوم،وإذا حاولوا الاتصال بي هناك لن يجدوا أحدًا في المترل.

وذهبت..كان يومًا طويلاً غريبًا، يملؤه الخـــوف والألم،وتم كل شيء..خرجت من عيادة الطبيب مجهدة متألمة،فذهبت إلى

البيت واندسست في الفراش لأستيقظ في اليوم التالي وكأن شيئًا لم يكن.

مر على هذا اليوم سنوات،وها أنا الآن أم لشاب وفتـــاة وآه من تلك الفتاة،منذ أن أنجبتها وأنا حريصة على أن أكون صديقة لها وكأني فتاة في مثل سنها، لقد حرصت ألا أجعلها ترى مـــا رأيته من والديَّ،بل على العكس أعطيتها قدرًا كبيرًا من الحرية، لم تحظ به الكثير من مثيلاتها،واضعة حدًا صارمًا لتدخل أخيهـــا في حياتها.

لقد حدثتني كثيرًا عن أصدقائها وزملائها،ومنذ شهور قليلة أخذت تكثر الحديث عن شخص بعينه،مما جعلني أشـــعر أنهـــا تحبه، فحرصت على أن أراه،كان شابًا أنيقًا يبدو عليه الثـــراء، وشعرت بالارتياح له منذ أول لقاء.

ساعدتها على أن تقابله،حتى دون علم أخيها أو والـــدها، وكنت في قمة سعادتي وأنا أراها تنعم بالحرية التي حرمت أنـــا منها..ثم جاءتني لتخبرني باكية أنهما قد افترقا،وظننت أن هـــذا كل ما في الأمر،فإذا بها تصدمني قائلة أنها قد منحته ما منحـــت أنا أيضاً منذ زمن بعيد باسم الحب! لم أتمالك نفسي فأوســـعتها

ضربًا، كانت أول مرة تمتد يدي إليها بسوء،تلك اليد التي مـــا امتدت إلا لتربت وتحنو..طاوعني قلبي أن أضربها،وليته طاوعني أن أذهب إلى أبعد من ذلك فأقتلها وأريـــح نفـــسي،ولكنه لم يطاوعني!!..فهي ابنتي،لم يولّد خطؤها كرهًا لها،بل غضبًا منها وسخطًا عليها.

لقد تحملت خطئي وحدي،ولكنها أغرقتني معها في خطئها، لقد طلبت مني أن أساعدها باعتبار ما بيننا مـــن صـــداقة،ليتها اعتبرتني عدوها وجنبتني ما أنا فيه،ليتها أصلحت كـــل شـــيء بمفردها كما فعلت أنا !!

هل كنت مخطئة حين منحتها هذه الحرية؟هل كنت ساذجة حين ظننت أن الحرية تمنع الخطأ وأن صداقتي لها ســـتقيها مـــن السقوط؟إني ضائعة حائرة لا أعرف ماذا سأفعل وماذا سيحدث غدًا، كيف سأواجه كل هذا..كيف أصلح ما أفسده الحب مرة أخرى؟ليتني كنت أحمل قلبًا قاسيًا كقلب أمي!

لقد انهار كل شيء أمامي،وتحطمت فجأة كل تلك الأفكار التي نمت في عقلي طوال عشرين عامًا،لقد أفقت علـــى تلـــك الحقيقة المروعة،أنني كنت على خطأ !!



قبل ... وبعد ... وبعد

ملل وسعادة ودموع .... إنها الحياة .



قبل..... وحيدة

ملل..هذا هو كل ما أستطيع أن أصف به ذلك اليوم،يــوم آخر من الملل والوحدة والكآبة والــ.. الفراغ.

أفقت من النوم هذا الصباح على صوت أمي تتشاجر مــع أحد الأشخاص في الشارع،نهضت وأنا أهمس في داخلي:"هاهو يوم جديد ممل"

لم أتناول أي شيء،فلم أكن أشعر بأية رغبة في الطعام،رغم إلحاح أمي وإلقائها ذلك الدرس اليومي عن أهمية الإفطار لفتـــاة في مثل عمري تعمل هذا العمل المرهق.

ذهبت إلى الشركة بالتاكسي،وكان السائق كالمعتاد من هذا النوع الذي يهوى الحديث والثرثرة،متجاهلاً تمامًا عدم رغبتي في مشاركته هموم حياته اليومية.

وصلت إلى الشركة وأنا أتطلع إلى ساعتي متـــسائلة كيــف سيمر هذا اليوم الطويل الممل، وكيف سأقضي هذه الــساعات الطوال،وكالعادة وجدت زميلاتي يثرثرن بأحــاديثهن الــتي لا تنضب والتي تتركــز علــى الرجــال..تــصفحت بريــدي

الإلكتروني، لم أجد أي شيء جديد،سوى أخبار العمل ورسائل الرؤساء وبعض الإعلانات .

تناولت قهوتي في موعدها، لم أشعر لها بأي طعم و لم أشارك زميلاتي وجبة البيتزا التي طلبوها برغم رائحتها الشهية.

وهكذا انقضت ساعات العمل في ملل رهيب وشعور فظيع بالكآبة،كنت شاردة معظم الوقت، كنت أشعر برغبة شـــديدة في الرحيل بعيداً..بعيداً عن كل شيء،عن بيتي وعن عملي وعن كل من يعرفني..أريد أن أذهب حيث لا أحد..وأبكي وأظـــل أبكي وأبكي.

دعتني "سها" صديقتي إلى السينما فاعتذرت لها،ثم طلبـــت مني "رانيا" أن اصطحبها لشراء فستان ســـهرة،فاعتذرت لهـــا أيضاً،ولست أدري لماذا،رغم أني لم أرَ الاثنتين منذ فترة بعيدة .

وعندما انتهى اليوم اصطحبتني "لمياء" في ســـيارتها،وكانت طوال الطريق تثرثر كعادتها عن زوجها ووالدته.ذلك الحـــديث الذي لا تسأم منه أبدًا،و لم أتنبه إلا وهي توجه إليَّ اللوم قائلة:

"عارفه..إنتي صعبانة عليًّا قوي" وعندما سألتها عما دعاهـــا إلى قول ذلك أجابتني:

" حاسة إن عندك فراغ عاطفي،يعني أنـــا مـــثلاً شـــقيانة، وسامح مطلع روحي بس مالي عليَّ الفراغ،إنتِ لازم تتجـــوزي أو على الأقل تحبي..."

لم أجبها، فواصلت:

"يا بنتي عيشي حياتك،العمر بيجري وكل واحد مـــشغول بنفسه وبحياته،وإنتِ كمان لازم تلاقيلك واحد يشغلك وتشغليه قبل ما يفوت الوقت،اسمعي كلامي إحنا بنعيش مرة واحـــدة،يا نعيش صح يا إما بلاش نعيش أحسن،وأنا بقى شايفة أنك مش عايشة أصلاً،فكّري في كلامي هتلاقيه منطقي وهتلاقي معايـــا حق.. "

كنا قد وصلنا إلى منزلي،وانطلقت هي بسيارتها،ولا تـــزال كلماتها تتردد بداخلي..

أخذت أفكر،إنها –وللأسف– محقة فيما قالت،أنا أشعر أني لست موجودة،أمارس حياتي كأية إنسانة عادية ولكـــن بـــلا هدف..بلا طعم..بلا أية متعة،حياتي سلسلة من الأعمال المملة المكررة بلا معنى،ولكني أعرف الدواء،إنه ذلك الشيء الـــساحر الذي يغير كل شيء ويجعل الحياة أجمل،يجعل لكل شيء معنى،

في كل شيء سعادة ومع كل شيء أمل..إنه الحب،و لكن أين هو؟لم أعد قادرة على الحياة بهذا الشكل وبهذه الوحدة وبهذا الفراغ اللانهائي،أريد شخصًا لي وحدي،شخصاً يملأ ذلك الفراغ الرهيب،ويبدد ذلك الظلام بداخلي،يدفئ تلك البرودة القارصة في أعماقي ويذيب ذلك الجليد في قلبي،هذا هو كل ما أريده.

أذهب الآن لأنام فأنا متعبة من طول التفكير،ولكني لن أذهب للنوم وحيدة،بل بصحبة بعض الأصدقاء الأعزاء الأوفياء الذين لم يفارقوني ليلة واحدة "دموعي" .

بعد ... تحب

سعادة..كان يومًا مليئًا بالسعادة.

بدأ بحلم لذيذ وكان معي فيه،يا له من حلم ..

أفقت من نومي على صوت العصافير همست: "صباح الخير يا حبيبي" فنحن معتادون على ذلك،نهضت من نومي وأنا أهتف: "ها هو يوم جديد، لا شك أنه سيكون جميلاً معه. تناولت إفطاري وسط تساؤلات أمي وراء سر تغيري وازدياد شهيتي للطعام،ارتديت ذلك الفستان الأزرق الهادئ الذي

يحبه،مكثت طويلاً أمام المرآة أصفف شعري وأنتقـــي ألـــوان الـــ"مكياج" بعناية،بدوت رائعة،لأول مرة أشـــعر أني جميلـــة وجذابة .

وجدته ينتظرني أمام البيت،فوجئت به يقول: "مـــش مهـــم أتأخر على شغلي المهم أقضى معاكي الكام دقيقة دول" أحبـــه ذلك المجنون،أحبه.

وصلت إلى عملي وأنا أكاد أطير من السعادة..

وعلى بريدي الإلكتروني وجدت عدة رسائل منه،يا لكلامه الرائع وتلك البطاقات التي تحمل أزهاراً مع موســـيقى هادئـــة، أكاد أقسم أني كنت أشم عبير هذه الأزهار الجميلة،وبعد دقائق وصلتني على تليفوني المحمول أغنيـــة رومانـــسية،ثم عـــشرات الرسائل..انقضت ساعات العمل وكلي لهفة للقائه،ذهبنا لتناول الغداء،استمتعت بالبيتزا الشهية وسط الضحك والهمـــسات،ثم أخذني إلى السينما،وطوال الفيلم كانت يدي في يده ورأســـي على كتفه وعطره يملؤني .

عدت إلى البيت وأنا أحلق كالطيور،وبعد دقائق إذ به يتصل بي ليطمئن علي،ثم مكثنا نتحدث ثلاث ساعات،من أين يـــأتي

كل هذا الكلام؟أين كان هذا المخلوق الرائـع طـوال تلـك السنوات الماضية ؟

أين كانت كل تلك الأحاسيس المنهمرة،والمشاعر الـتي لا تنضب،أين كان ذلك الرجل ولماذا لم أقابله قبل الآن؟كم أحبه وأعشقه،فقد بدأ ميلادي يوم قابلته أول مرة،قبل ذلك لم أكـن هكذا،كنت في تلك الدنيا الأخرى،أما الآن فأنا أحب .

يا رب..احمه واحفظه لي واجعله يحبني أكثر وأكثر،سأذهب لأنام الآن وليس معي إلا صورته وصوته وعطره الذي مـا زال عالقاً بي،إني متلهفة على النوم فربما أراه في حلم آخر كحلم هذا الصباح،أحبه..أحبه .

و ... بعد ...رحل

دموع..مضى هذا اليوم في دموع،دمـوع لا تجـف،لم أنم طوال الليلة الماضية،وحين نهضت في الصباح كان معي حزني.

لقد انتهى كل شيء.ذهبت إلى عملي وحيدة كما كنت قبل أن أقابله،وصلت إلى مكتبي وفتحت جهاز الكمبيوتر وكلي لهفة ولكن لم أجد أي شيء منه،ولم تصلني أية رسائل،وبعد انقضاء

يوم طويل كئيب بكيت فيه كثيراً،عدت إلى البيـــت لأقبـــع في حجرتي وأظل أبكي وأبكي بلا نهاية .

أشعر بحنين شديد إليه، إلى صوته إلى وجهه إلى عينيه، لم يعد لي سوى الذكريات،ذكريات مؤلمة، لم يعد لي سوى الدموع التي ظننت أنها فارقتني بلا عودة ليفارقني هو وتعود الدموع لي.

أريد أن أنسى..أنساه...أنسى نفسي وأنسى كل شيء.ألم تكن حياتي أفضل قبل الآن؟ لم يكن هناك ما أهرب منه ومـــن أشتاق إليه بلا أمل، لم يكن هناك كل هذا الألم.

أريد أن أنسى ولكن كيف؟كل شيء يـــذكرني بـــه،كيف أنساه إلا إذا نسيت كل شيء في هذه الدنيا؟لن أنـــساه إلا إذا فقدت الذاكرة !!إنه ما زال بداخلي،مازلت أشعر بـــه وأسمـــع صوته وأراه أمامي،ما زال عطره عالقاً بي مـــا زالـــت نظراتـــه تطاردني، لن أنساه.

سأذهب إلى النوم..نوم؟أي نوم؟لقد تركني النوم،أخذه معـــه كما أخذ نفسي وقلبي،كما أخذ السعادة وأخذ الحياة مني..

لن أنساه .... لن أنساه.



الصحوة

"ومنذ أن رأيت ذلك الحلم انقلبت حياتي رأسًا على عقب، عدت من حيث بدأت منذ زمن طويل، لقد عاودني ذلك الحنين وذلك الضعف وسيطرت على رغبة شديدة أن أراه وأعرف أخباره بدون أي هدف وبدون أدنى فكرة عما قد يحدث بعد ذلك..."

تبًا لذلك الحلم اللعين الذي أعاد لي كل شيء، أعـــادني إلى سنوات بعيدة،إلى ذلك الشيء الذي دفنته بداخلي وأقمت فوقه حياة جديدة حافلة، لم تترك لي مجالاً للتفكير أو لنبش الماضـــي، لولا ذلك الحلم الذي رأيته فيه،والذي أعاده إليّ مـــن جديـــد، فأعادني إلى نقطة البداية بعد أن ظننت أني قد تجـــاوزت هـــذه المرحلة منذ زمن بعيد.أعاد لي ذلك الحلم ذكريات تلك العلاقة القديمة التي قضيت فيها سنوات من السعادة،ثم أيام من التعاسة بعد ذلك،لقد انتهى ما كان بيننا منذ سنوات بعيدة،ومع انتهاء تلك العلاقة انتهت حياتي،أو هكذا خيل إليّ وقتها،لقد انهـــرت وبكيت كثيراً، وتوقفت أشياء كثيرة جميلة وممتعة ليحل محلـــها البكاء والندم.قضيت أيامًا طويلة أعاني آلام هذه النهايـــة،أردت أن أنساه أن أكرهه بل فكرت في قتله،أو على الأقل تدمير حياته مثلما دمر هو حياتي،ولكني كنت أعود بأفكاري مـــن حيـــث بدأت، كان يغلبني حبي له وتلك الذكريات الجميلة والإحساس الرائع الذي لم يغمرني إلا وأنا معه.

وبعد أن اجتزت هذه المرحلة الفظيعة وهدأت بعض الشيء، كان علي أن أعاود حياتي من جديد.

تركت عملي القديم لأنه كان مصدر تلك العلاقة، بل تركت ذلك المجال كله بلا رجعة،وبدأت في مجال جديد، وانهمكت في العمل وملأت وقتي بأصدقاء جدد ومعارف مسليين وهوايات كانت تملأ حياتي قبل أن يملأها هو.

واستقرت حياتي بعد فترة،ولكن بين الحين والآخر كانت تنتابني تلك الموجة من الحنين فأغرق في الذكريات وانتهي بالبكاء،حتى أني فكرت كثيراً في ذلك الوقت أن أعاود الاتصال به، ولكن كنت أعدل عن ذلك التفكير.

وبعد أن حققت الاستقرار في مجال العمل والأصدقاء والحياة العملية، بدأت أبحث عن استقرار وانشغال من نوع آخر يسمى بالزواج.أنا جميلة وأنا أعرف ذلك، لست مغرورة ولكني عندما أنظر في المرآة أرى وجهاً جميلاً وجسداً متناسقاً،وأرى أيضاً تلك النظرات في عيون الرجال،ونظرات من نوع آخر في عيون بعض الفتيات.ومن بين الكثيرين ممن تقدموا لي تخيرت أكثرهم وسامة وثراء وبالفعل تم كل شيء بمنتهى السرعة وسرعان ما تم زواجنا،وبدأت حياة جديدة لم آلفها من قبل،قضيت شهورًا في إعداد بيتي الجديد،وفي استكشاف زوجي، وفي الانشغال التام

به، وبتلك الحياة الجديدة،وبذلك المستقبل الذي لا أعلم عنـــه شيء.

لا أستطيع القول أني أحببته،وأقصد بالطبع ذلك الحب الذي ملكني من قبل،ولكني كنت متقبلة له بدرجـــة كبيرة،وبـــالطبع ساعدني على ذلك وسامته الشديدة وجاذبيته وخفة ظله ثم ثرائه ومركزه الاجتماعي المرموق،والأهم من ذلك حبه الـــشديد لي وتدليلي واستجابته لكل رغباتي،إنه يعاملني كما يعامل الطفـــل لعبة جديدة ثمينة كان ينتظرها من وقت طويل وحصل عليهـــا بعد جهد وتعب،ولا أنكر أني كنت أستمتع بإحـــساسي بـــأني محور حياته،كنت أتلذذ بالتدلل عليه ومعاملته كما تعامل الطفلة أشخاصًا هي تعلم تمام العلم أنهم يحبونها ولن يرفضوا لها طلبًا.

كان شعوري بأني أمتلك زوجي يبعث فيّ سعادة لم أشعر بها من قبل،ربما كانت تعوضني عما لم يحدث مع ذلك الشخص في الماضي،كان إحساسي بتلك المكانة العالية لي في قلب زوجـــي تجعلني أشكر الله عليه وأطلب منه مع كل صلاة أن يُنزل بقلـــبي مثلما بقلبه من حب،ولكن ليس كل ما نطلبه من الله نجده،لقد أعطاني الله الزوج المحب الكريم الوسيم الجذاب المحبوب الـــذي

يخلو تمامًا من أي عيب،ولكنه مع كل ذلك لم يعطـني القـدرة على أن أحبه مثلما يحبني،لقد أكد لي الكثيرون بمن فيهم أمـي وجميع نساء العائلة،أن ما أسميه أنا حبًّا مـا هـو إلا أوهـام وتفاهات يتغنى بها المطربون ليوهموا المراهقين بتلك الأوهام التي لا وجود لها في الحياة وخاصة بعد الزواج،إنما يوجـد بـين الأزواج مودة واحترام وعلاقة خاصة تقرب بينهما.

ولكن أين الحب؟لقد عرفته مرة،وبعدها.. لم أستطع أن أحيا بدونه،وظننت أني سأعاوده مع زوجي،ولكني لم أشعر به!

لقد قضيت أياماً طويلة أبحث عنه،وأوهم نفسي أنه موجود ولكن بلا فائدة،أخذت أبحث جاهدة عن سبب قوي يجعلني لا أحب زوجي ولم أجد،لدرجة أني فكرت أن أنهي زواجي ولكن كنت أعدل عن ذلك التفكير لسبب بسيط هو أني لن أسـتطيع أن أواجه المجتمع بعد ذلك القرار،لن أستطيع أن أحيا وأنا أحمل ذلك اللقب البغيض لقب"مطلقة".

ثم هداني تفكيري الذي لا يهدأ إلى حل بدا لي رائعاً وقتها: الأطفال،إن أكثر ما يقرب بين الزوجين طفلٌ يـربط بينـهما، وبدأت أفكر في إنجاب طفل يملأ حياتي ويقـرب بـيني وبـين

زوجي،ولكني كنت أشعر في أعماقي أن هذا ليس السبب الرئيسي،لقد أردت أن أغرق في تلك العلاقة حتى أذني،أن أتورط فيها إلى أقصى حد.فبعد أن أنجب ذلك الطفل سيصبح من المستحيل أن أفكر في إنهاء زواجي،نعم..يجب أن أعترف أن ذلك هو السبب الرئيسي،أن أنغمس في الزواج حتى أذني ليصبح قدرًا ومصيرًا محتومًا لا فكاك منه.وبدأت أنتظر حدوث الحمل شهورًا تلو شهور،ولكنه لم يحدث،كدت أجن وأخبرت زوجي وطالبته أن نستشير الأطباء،وبالرغم من أنه قد مضى على زواجنا أقل من عام إلا أني كنت متلهفة على الإنجاب بصورة لم تبدُ طبيعية،وبالفعل حقق لي زوجي رغبتي كعادته،واستشرنا أحد كبار الأطباء الذي أكد لنا خلونا التام مما يمنع الإنجاب، وبدأنا المتابعة معه حتى حدث..ولا أستطيع أن أصف مدى سعادتي بنتيجة اختبار الحمل ومدى اهتمامي الشديد بذلك الزائر الذي ظننت أني سأجد معه الخلاص.وانتهت شهور الحمل وأنجبت طفلة جميلة أضاءت حياتي كالشمس،ولكن الغريب أنني بعد الولادة كنت أراه..ذلك الشخص القديم،كنت أتصوره كما لو كان هو زوجي وكأنه هو والد ابنتي!! لست أدري ما

الذي أحضره إلى ذهني في تلك اللحظات وبعد كل تلك السنوات!!

حتى أنني أسميت ابنتي "سميرة "؛لأن "سميرة" هو الاسم المؤنث لاسم ذلك الشخص القديم،وكأني كنت أعوض حرماني منه كأب لطفلتي،بأن أجعلها تحمل اسمه بطريقة أخرى!!

وانقضت الأيام وأنا أحيا من أجل ابنتي فهي محور حياتي وكل مشاعري قد اتجهت إليها رغمًا عني،وحتى الآن لا أدري سر ذلك الحب الجارف الذي أشعر به نحوها والذي أكد لي الكثيرون حتى أمي أنه ليس حبًا طبيعيًا من أم لطفلتها.ربما كان ذلك لأن " سميرة " قد جمعت بين حبي لها كابنتي وبين حبي لها لأنها تحمل ذلك الاسم العزيز،وبين حبي لها لأنه ليس هناك شخصٌ آخر أحبه سواها،ولأن مشاعري التي كان من المفترض أن تتجه إلى زوجي قد اتجهت إليها.

وكبرت ابنتي وجاوزت العامين إلى أن كان ذلك اليوم الذي رأيت فيه ذلك الحلم،وبالرغم من عدم تذكري لأية تفاصيل لهذا الحلم إلا أني أذكر شيئًا واحدًا، هو أني رأيته وحادثته وأحسست به وكأنه لم يكن حلمًا،ومنذ أن رأيت ذلك الحلم

وانقلبت حياتي رأساً على عقب؛عدت من حيث بدأت من زمن طويل،عاودني ذلك الحنين وذلك الضعف وسيطرت علي رغبة شديدة أن أراه وأعرف أخباره بدون أي هدف وبـــدون أدنى فكرة عما قد يحدث بعد ذلك.

لقد حاولت جاهدة أن أقاوم كل هذا،ولكن كل محـــاولاتي باءت بالفشل، لم أكن أعلم أني ضعيفة إلى هذا الحد وأنه قـــوي إلى هذا الحد،لقد أخذني من حياتي الجديدة وألقاني في ذلك القبر المظلم الذي ظننت أني قد دفنته فيه.

وكان هناك حل واحد،هو أن أعاود الاتـــصال بـــصديقتي القديمة التي انتهت علاقتي بها بمجرد انتهاء علاقتي بـــه،وبالفعل بحثت عنها وتمكنت من العثور عليها فحادثتها ودعوتها لزيارتي في بيتي الجديد،وجاءت وأبدت إعجابها الشديد ببيتي وبزوجـــي وابني،وعندما سألتني عن اسم ابني عرفت كل شيء،فلم يكن من الصعب عليها أن تستنتج ذلك وهي التي كانت تعرف كل شيء عن حبي القديم،وبدون أن أسألها وجدتها تخبرني أنه يعمل الآن عملاً خاصًا به،وأنه لم يتزوج بعد..ولا أدري لماذا شعرت بسعادة غامرة لهذا الخبر،وكأنه أعطاني أملاً كاذبًا،أو ربما كانت

سعادتي نوع من الشماتة فيه فقد تزوجت أنا وأنجبت بينما هو لم يتزوج، حقاً لست أدري .

انتهزت فرصة دخول صديقتي الحمام وأخــذت تليفونهـــا المحمول وبحثت عن رقمه ووجدته ودونته عندي،وهكذا انتهت مهمة تلك الصديقة،لقد أعطتني سعادة لا مثيل لهـــا بإعطـــائي الفرصة للحصول على رقمه،لقد أردت شيئًا واحدًا،أن أسمـــع صوته وليذهب كل شيء آخر إلى الجحيم .

وبالفعل بدأت أنسج الخطط للاتصال به،وبدأت بعد ذلـــك في التنفيذ،كنت أتصل به من كبائن التليفون المختلفة حـــتى لا يعرف أني أنا التي أتصل به،ومضت شهور وأنا أفعـــل ذلـــك. كنت أشعر بلذة شديدة عند سماع صوته،كنت أحادثـــه كـــل بضعة أيام عندما تسمح الفرصة لآخذ "سمـــيرة" وأذهـــب إلى كابينة تليفون وأطلب رقمه.

إلى أن ذهبت كعادتي للاتصال به اليوم وبالفعـــل بـــدأت أضغط على أرقام تليفونه وأنا شاردة أتلهف لسماع صوته،وإذا بي أفيق على صوت سيارة خلفي تقف فجأة مصدرة صـــريرًا حادًا عاليًا،شعرت بقلبي ينفطر وتذكرت "سميرة" التي تركتـــها

من يدي،وبدت مني صرخة شديدة، فقد كانت صغيرتي تحـــت السيارة،تركت سماعة التليفون تهوي من يدي وعدوت كالمجنونة إليها..

حمداً لله...حمداً لله لم تصب بأذى،حملتـــها بـــين ذراعـــي وأشبعتها تقبيلاً وأخذت أبكي وأنا أضمها إليّ وأهتـــف "يـــا حبيبتي..يا حبيبتي..الحمد لله "

وبالطبع تجمهر كثير من الناس حولي ولكن لم أسمع شيئاً مما يقولون إلا تلك السيدة التي ظهرت فجأة قائلةً: "لـــو تعـــرفي المحرومين من الخلفة بيحسوا بإيه كنتي هتعرفي قيمتها وما كنتيش حتسبيها تغيب عن عينيكي ثانية واحدة".

بكيت كثيرًا وقلبي يكاد يثب من مكانه،ياصغيرتي الحبيبة، لن أغفر لنفسي ما حدث اليوم،لقد ســـلمها الله وحفظهـــا لى. طوال الطريق وأنا أتخيل لو حدث لها مكروهاً..لا..لا..حفظها الله..سلمها الله من كل أذى.يا لذلك الشعور القاتل بالـــذنب، إنني أنا السبب في كل هذا،لقد صدقت تلك السيدة المجهولـــة، نعم لقد عرفت قيمة تلك الصغيرة العزيزة.أما ذلك الـــشخص القديم..لقد سلبني سعادتي قديماً ولن..لن أسمح لـــه أن يـــسلبني

ابنتي،إني أكرهه...أكرهه،إن مجرد التفكير فيه يصيبني بالغثيان، كم أنا نادمة على كل تلك الأوقات التي قضيتها في بحث محاولات الاتصال به،لا أريد أن أعرف أي شيء عنه،لقد أعطاني الله زوجًا كريمًا رائعاً وأعطاني ذلك الملاك الجميل، سأحب زوجي وسأحيا معه كخادمة مخلصة لأنه سر وجود ابنتي فهو الذي زرعها بداخلي،سأحافظ عليهما وسأحيا لهما وحدهما وليس لشيء آخر .

الجـذور

" لقد تخلصت منه ... قتلته كما سأقتلهم، وأقتل نفسي لو لزم الأمر... رحل كما سيرحلون ... لقد أخذوا كل شيء وزرعوا الحقد ... بذورًا تنمو ... أشجارًا من شوك ... بغض وكره وحقد ... نيران لا تنطفئ... "

دمار في كل مكان..بقايا منازل متهدمة..دماء..أشلاء جثث متناثرة هنا وهناك..بقايا أجساد..كتل من لحم بشري ممـــزوج بدماء داكنة متجلطة،ودماء أخـــرى مازالـــت ســـاخنة تمـــلأ الطرقات،رائحة خانقة،رائحة لحم محترق مختلطة برائحة البارود، أصوات المدافع تختلط مع صرخات الفزع،عويل وبكاء،صـــراخ نساء وأنين رجال وبكاء الأطفال،أختي الحامل ترقد في سكون و الدماء تغطي جسدها،أشلاء من جـــسد أخـــي،أبي يحمـــل جسدي الصغير بين ذراعيه الجريحتين..يعتـــصرني..يعـــدو بي.. دموعه تبلل وجهي وشعري..يدفنني فيه..يود لو يخفـــيني مـــن العالم،يحاول أن يمنعني من رؤية ما قد رأيت بالفعـــل..بكـــاؤه يختلط ببكائي..دموعنا تمتزج..صوته يردد في مرارة "ســـأنتقم.. سأنتقم " .

****

أجلس في الفصل مع زميلاتي..شاردة واجمة..حـــزن مقـــيم لا يفارق وجهي..أنتظر حصة الرسم لأرسم شيئًا واحدًا بندقيـــة ... " سأنتقم ... سأنتقم" .

****

أصحو في الليل البارد على تلك الأصوات التي ألفتها..ما لها تبدو أكثر اقترابًا..الجنود حولي وحول زميلاتي..صراخ وبكـــاء ...أصواتهم الكريهة..وجوههم الممجوجة..اثنان منهما يجذباني من الفراش..ملابسي تتمزق..أيديهم القذرة تجوس في جـــسدي البكر..أحدهم يباعد بين ساقيَّ، والآخر يشل حركة يدي اللتي اندفعت في جنون تحاول إبعادهم عني..آخر يرقد فوقي..يجـثم فوق صدري..أنفاسه الكريهة تخنقني..أزيح وجهـــي بعيـــدًا.. أحاول التخلص منهم دون جدوى..أشعر به يخترقني..يمـــزقني.. ألم..ألم رهيب..دمائي تسيل..صرخات ألم مكتومة..جـــسده يتحرك فوقي وأصدقاؤه يستحثونه ويقهقهـــون... "ســـأنتقم ...سأنتقم ".

****

أكرههم وأكره كل شيء..أكره جسدي الذي اســـتجاب ...أكره ذلك الشيء الذي ينمو في أحشائي..ذلك الشيء الذي زرعوه بداخلي في تلك الليلة..هذا حرام..ظلم..أين أنـــت يـــا رب؟..لماذا تتركهم؟..أين عدلك؟..أين عينك الـــتي لا تنـــام؟ أنا...؟أنا أحمل بداخلي أحدهم ؟!" سأنتقم ... سأنتقم ".

أرقد متهالكة على ذلك الفراش الـرث في تلـك الحجـرة المظلمة..رائحة المرضى حولي..ألم بداخلي..يئن سـاقيَّ..لقـد تخلصت منه..قتلته كما سأقتلهم وسأقتل نفسي لو لزم الأمر .. رحل كما سيرحلون...لقد أخذوا كل شيء..الأرض والأهـل ...الشرف والحب..البراءة والضحك..زرعوا الحقـد..بـذورًا تنمو،أشجارًا من شوك،بغض وكره وحقد،نيران لا تنطفـئ.. أتعجل الشفاء..أريد أن أخرج إليهم..أرضي..أهلي.. أصدقائي ..بكارتي.. " سأنتقم ... سأنتقم " .

****

لم أعد فتاة..أنا كتلة من حقد..نار تمشي علـى قـدمين.. عمياء عن كل شيء إلا أجسادهم الممزقة،ودماءهم النجـسة.. أصدقائي الأسلحة والعبوات الناسفة..جسدي الذي انتـهكوه أصبح كتلة من حديد ونار..قلبي الذي انتزعوه وضعوا مكانـه حقدًا..انفجارات عديدة..صراخهم يطربني..فزعهم يفرحني.. موتهم يسعدني..مازال ينتظرهم الكثير..سأنتقم...سأنتقم .

****

يحتفلون بعيدهم،وأنا أيضًا سأحتفل معهم...حشد لا بأس به يستحق أن يختفي من فوق هذه الأرض..لن ينسوا هذا العيد.. سيصبح نيسان شهر ميلادي..سيذكرونني إلى الأبد...
سأنتقم.. سأنتقم .

****

"انفجار مروع في تل أبيب عشية عيد الفصح

فتاة فلسطينية تفجر نفسها في عملية استشهادية"

السر

"إني خائفة .... أنا أعرفه وأعرف وقع هذا النبأ عليه، أعرف رأيه الصحيح ووجهة نظره الواضحة فيما يخص هذا الأمر....."

يجب أن أخبره،سأخبره وليكن ما يكـــون....أعـــرف أني مخطئة،إني متعجلة وهوجـــاء وحمقاء،لطالمـــا وُصِـــفت هـــذه الأوصاف.

لم أعتد أن أتجاهل أي شيء أريده وأشعر بضرورته لي،حتى لو بدا للآخرين شيئاً تافهاً لا يستحق كل هذا الاهتمام،دائمـــاً أريد شيئاً،ثم أفعل المستحيل حتى أناله،ودائماً أناله ثم أنال بعـــد ذلك الكثير من اللوم من الآخرين ومن نفسي..أو ذلك الشيء الذي يسمى نفسي..تلك الأخرى التي بداخلي،تتفنن في تعذيبي ولومي،كم عذبتني و حرمتني من النوم ومن الاستمتاع بحياتي.

إني خائفة..أنا أعرفه وأعرف وقع هذا النبأ عليـــه وأعـــرف رأيه الصريح ووجهة نظـــره الواضـــحة فيمـــا يخـــص هـــذا الأمر،أناني.. لم يعطِ نفسه بعض الوقت ليفكر فيمـــا أحتاجـــه أنا،إنه أمر ضروري جداً لي، بل لقد أصبح شغلي الشاغل منـــذ فتـــرة ليـــست قـــصيرة، أريـــده... أريده،وقـــد حـــصلت عليه..والآن...رعب وخوف وعذاب وأفكار لا حد لها.

إني أحبه بل أعشقه،ولكني لم أستطع إلا أن أستجيب لهـــذا الشيء،كنت أراه في كل ما حولي،عندما أنام وعند صـــحوي، أراه كثيراً يدعوني بإلحاح فأردته و لم أملك إلا أن أناله .

لم أقتنع بوجهة نظره ولكني لم أملك شيئاً أمام قوته وحـــبي له،إني أحبه وأحب أن أطيعه،أكره أن أغضبه حتى لو كان ذلك على حساب أشياء أخرى،ولكن لست أدري لماذا لم أستطع أن أقاوم هذا الشيء المُلِح،ولأول مرة لا أطيعه وأفعل ما أرغب فيه دون أن يكون له أي تدخل .

سيصرخ ويثور و..هل سيضربني؟!الا..لا أظن..إنه حنـــون ورقيق معي،ولكن في لحظات غضبه يصبح رجلاً آخر،يختفــي كل هدوءه،ينسى كل شيء إلا غضبه،أشبّهه دائمًا بالبحر،فهو كالبحر في لحظات صفائه هادئ أزرق كبير يحتويني ويهدهدني، أجد راحة غريبة في النظر إليه والاحتماء به،أما في لحظات ثورته فهو هائج ثائر مخيف لا قبل لأحد أن يقف أمامه أو يقاومـــه، يصرخ بصوت غريب وكأنه ليس صوته،يصبح إنساناً آخـــر،ثم يهدأ ويغلق عينيه بيديه،يخفت تلاحق أنفاسه وتهـــدأ ضـــربات قلبه،ثم ينهض ويغلق عليه باب حجرتنا، ويخرج إليّ بعد ذلـــك ليحدني أترقب فيقترب مني ويقبلني ويعانقني ويـــ...أحبه .

ولكنه في هذه المرة لن يفعل كل هذا،لن يقبـــل أن أتحـــداه وأفعل ما يحلو لي،وخاصة بعد أن أغلقنا باب الحديث في هـــذا

الأمر،وعاهدته وقطعت على نفسي أن أتحمل كل شيء لأرضيه،وبالفعل استطعت لبعض الوقت أن أفعل ما أراد، فمضى كل شيء على ما يرام ولكن من وجهة نظره هو فقط، أما ما يحدث في داخلي فلم أستطع إلا أن أتمناه وأن أبحث عنه في كل شيء،أبحث عن أي شيء له علاقة به،وعندما أذهب للتسوق أجد نفسي تلقائيًا منجذبة لكل ما يخصه،وأتمنى لو كان في إمكاني شراء كل هذه الأشياء،ثم أبدأ في الكتمان والمقاومة وأنسى أو أحاول أن أتناسى ولكنه حولي في كل شيء،في التليفزيون،وفي الخارج،وفي المترل ومع أصدقائي وأقاربي وأهلي، دائماً هناك بداخلي رغبة غير قابلة للمقاومة وشعور غير قابل للتجاهل لم يستحب لكل محاولاتي ومقاومتي.

ولم أملك أي شيء، أحسست بعجز رهيب وضعف لم أعهده في نفسي من قبل وأنا ذات الشخصية القوية المسيطرة.

ولكن مهلاً...لقد تذكرت الآن...إن هذا الشعور يشبه كثيراً ما كنت أشعر به حين قابلته أول مرة،حين رأيته ذات مساء،ونظرت في عينيه وأحسست أني أريد هذا الرجل،أريد أن أراه كثيراً وأستمع إلى صوته،أريد أن أبقى معه لوقت أطول،

أنظر إليه وأراقبه وهو يأكل ويتكلم وهو يعمل،ولم أحاول أن أمنع نفسي فتركت كل مشاعري تطفو على السطح وأبديت له اهتمامي وتعلقي،كنت أريده وحصلت على ما أردت، فتزوجته وأحببته كما لم أحب من قبل وأصبح كل ما كنت أتمناه بمنتهى البساطة حق من حقوقي.

سأخبره...إنه يحبني، لن يتركني ولن يقسو عليّ فلن يتمكن قلبه من أية قسوة،سيعرف لماذا لم أحتط في تلك الليلة،سيعرف أني أردت ذلك الشيء،وسيستوعب ضرورته لي،سيتقبله ويحبه ويتمناه مثلي .

ما هذا؟...أشعر به يتحرك بداخلي،ذلك الشيء الذي طالما انتظرته والذي أصبح كل ما يشغلني الآن،سيولد مع الربيع إن شاء الله وسنستقبله بالورود، أنا أمه وهو أبوه .

قلب صغير

"ومنذ تلك الليلة حرص الجد على ألا ينهي تلك القصص إلا بنهاية سعيدة
حتى تطمئن الصغيرة ويهدأ قلبها"

كانت ليلة من ليالي الشتاء شديدة البرودة،وكعادة الجد في يوم الجمعة جمع أحفاده بمختلف أعمارهم في حجرته وأمام المدفأة جلسوا حوله ليستمعوا إلى قصة جديدة .

كانت قصص الجد تشدهم وتنقلهم إلى عالم خيالي جذاب. وكانوا ينتظرون يوم الجمعة من كل أسبوع بصبر نافذ فإذا ما حان موعد "الحدوتة" التفوا حوله في صمت شديد وتعلقت أبصارهم به وأرهفوا آذانهم الصغيرة لكل ما يقول.

بدأ الجد يروي :"في إحدى البلاد البعيدة كان هناك أختان تعيشان مع أمهما،كانت الأخت الكبرى دائمة الصراخ والشجار مع أختها وأمها ومع كل الناس،فلم يكن هناك من يحبها أو حتى يرغب في الحديث معها،أما الأخت الصغرى فكانت على العكس تمامًا،كانت رقيقة ومهذبة وبشوشة، تضحك مع الجميع وتساعد كبار السن والأطفال،فأحبها أهل البلدة جميعاً وأصبحوا أصدقاءً لها.

وفي أحد الأيام ذهبت هذه الفتاة إلى الغابة لتحضر بعض الماء،وهناك بجوار البئر رأت امرأة عجوزًا ضعيفة قبيحة المنظر، وما إن رأتها العجوز المخيفة حتى طلبت منها أن تملأ لها جرتها،

وما كان من صديقتنا إلا أن أطاعتها وملأتها لها بعد مشقة وعناء،وعندما همت الفتاة بالانصراف إذا بها ترى العجوز القبيحة تنقلب إلى امرأة غاية في الجمال،فهي لم تكن إلا الساحرة الطيبة التي تبحث عن أصحاب القلوب الرحيمة لتكافئهم على أعمالهم،وكانت مكافأتها للفتاة أنها كلما تنطق بكلمة تخرج من فمها جوهرة ثمينة رائعة،وبالفعل عندما بدأت الفتاة بالكلام إذا بالجواهر تخرج من فمها،وعادت الفتاة إلى بيتها وأخبرت أمها بما حدث،وصدقتها الأم فقد رأت بعينيها الجواهر.

طلبت الأم من الابنة الأخرى أن تذهب هي الأخرى إلى البئر، وهناك ستجد امرأة عجوزًا عليها أن تفعل ما تطلبه منها، وستكون لها مكافأة مثل أختها.

وبعد طول نقاش وجدال استجابت الفتاة وذهبت إلى الغابة، وعند البئر وجدت رجلاً عجوزاً وليس امرأة،فلم تعره أي اهتمام،وجلست تنتظر السيدة العجوز التي ستمنحها جائزة، وطلب منها ذلك الشيخ أن تعاونه في ملأ جرَّته فهو ضعيف لا يقوى على إحضار الماء،ولكن الفتاة نهرته وصاحت في وجهه،

وعندما ألح الرجل في طلبه سبّته بألفاظ ليس لفتاة مثلها أن تنطق بها.

وإذا بذلك العجوز ينقلب فجأة إلى امرأة جميلة هي نفس الساحرة الطيبة ولكن في شكل آخر،وكان عقاب هذه الفتاة أنها كلما نطقت بكلمة خرج من فمها ثعبان أسود مخيف.

لم تحتمل الفتاة هذه النكبة فأخذت تصرخ وتعدو صوب بيتها وكلما صرخت خرجت الثعابين من فمها،وفي المترل كان أهل البلدة قد تجمعوا ليشاهدوا اللآلئ التي تخرج من فم صديقتهم كلما تكلمت،ولكنهم شاهدوا أيضاً الثعابين التي تخرج من فم أختها.

وانتشر الخبر حتى أن أمير تلك البلد جاء بنفسه ليرى الفتاة التي يخرج من فمها لآلئ وأحجاراً كريمة، ورأى الفتاة وأعجب بها فأحبها وتزوجا لتصبح صديقتنا أميرة للبلاد "،وهنا توقف الجد فقد جاء من يدعوهم إلى العشاء،وبالفعل انصرف الأطفال إلى الطعام فرحين راضين.نظر الجد حوله فإذا هناك في ركن بعيد من الحجرة حفيدته الصغيرة شاردة حزينة، نهض إليها وربت على كتفها الصغير متسائلاً " ما بكِ يا حبيبتي لماذا لم

تنهضي مع أخوتك؟ " رفعت إليه الصغيرة عيـــنين صـــغيرتين يملؤهما الدمع وانفجرت في البكاء،احتضنها الجد وهدّأها،وعاود سؤالها إن كان أحد الأطفال قد أساء إليهـــا،ولكن الـــصغيرة أجابته بصوت محشرج من البكاء: "أنا أبكي من أجل الأخـــت الكبرى،لقد كرهها كل الناس فتركوها وحيدة ولا ريـــب أن أحد الثعابين التي تخرج من فمها قد لدغها وأنها....أنها ماتت " وعاودت البكاء.

ابتسم الجد قائلاً "مهلاً مهلاً يا صغيرتي إن القصة لم تنته بعد ولكن الأطفال نهضوا إلى الطعام فلم يعرفـــوا نهايتـــها " وهنـــا توقفت الفتاة عن البكاء وانتبهت إلى جدها الذي قال:لقد فرت الفتاة إلى الغابة وأخذت تبكي نادمة على كل ما فعلتـــه مـــع الآخرين،وكان ندمها صادقاً فسمعتها الساحرة الطيبـــة،ولأنها طيبة القلب سامحتها،ورفعت عنها ذلك العقاب الفظيع،فعـــادت الفتاة ولكنها لم تعد كما كانت وإنما أصبحت كأختـــها فتـــاة رقيقة مهذبة فأحبها الناس وأصبحت هي الأخرى صديقة لهم، وذات يوم رآها شقيق الأمير فأعجب بها وأحبها وتزوجا لينعما بالسعادة معًا، وهذه نهاية الحدوتة،ها؟ما رأيكِ ؟ ".

وهنا فقط اختفت الدموع من العينين الصغيرتين،وبدا فيهما الرضا والاقتناع،ونهض الجد وهو يحيط كتف الصغيرة بذراعه الهزيلة..

ومنذ تلك الليلة حرص الجد على ألا ينهي تلك القصص إلا بنهاية سعيدة حتى تطمئن الصغيرة ويهدأ قلبها.



العـودة

"ولكنه شيء أقوى مني وأقوى منه، شيء لا تصفه الكلمات ولا يوقفه العقل ولا يمحوه التجاهل ولا يقاومه المنطق، لقد حدث ... رغماً عني ورغماً عنه حدث ... دون إرادتي ودون إرادته ...."

سأقص عليكم كل شيء وعليكم أن تحكموا،ولكن م سيفيد هذا الحكم؟فسواء كنت مخطئة كما يقول كل الناس،أو كنت على حق كما تقول لي نفسي،فلن يفيد هذا الحكم لأن كل شيء قد انتهى بالفعل .

نعم.... لقد أنهيت كل شيء،لأول مرة آخذ قرارًا قاطعًا وأحدد مصيري لنفسي،ولكن هذا القرار لم يكن يخصني وحدي،لقد أرحت نفسي لأن نفسي فقط هي التي تعرف الحقيقية كاملة،أما هو والآخرون فلا يعرفون أي شيء.

لقد ظلمته وتسببت له في كثير من الحزن والدهشة،فهو حتى الآن لا يعرف السبب الحقيقي في هذا القرار.

وحتى أنتم عندما تعرفونه ستدركون لماذا كان من المستحيل أن أخبره،وأنه من الأفضل أن أظل في هذه الصورة من أن أكون السبب في تدمير تلك العلاقة الجميلة،التي لم ولا أظن أنني سأرى مثلها بين اثنين.

أنا فتاة عادية،لا يكاد يشعر بوجودها أحد،منذ طفولتي وأنا هادئة صامتة،أنهيت دراستي في المدرسة والجامعة بعد ذلك دون

أن يشعر بي أحد،لا نجاح مبهر ولا رسوب ولا شخصية جذابة ولا جمال صارخ.

وبعد أن أنهيت دراستي التحقت بالعمل،دون أن ألفت الأنظار أيضًا.

لم أحب كسائر الفتيات،ربما كان هدوئي وصمتي وانطوائي بالإضافة لخلوي من أي مصدر للفتنة سواء في شكلي أو ملبسي قد أبعد عني الرجال.

إلا ذلك الشخص الذي تقدم لخطبتي دون أن يراني،فقد رشحتني له إحدى صديقات أمي وكانت همزة الوصل بيني وبينه،وتم كل شيء بمنتهى الهدوء،فأصبح خطيبي وبدأنا نكمل معًا مشروع الزواج التقليدي .

لقد كان عاديًا مثلي تمامًا،فهو هادئ وقور رزين،فكان من السهل أن نتفاهم وتتلاقى اهتماماتنا،لم يكن من الصعب إقناع أحد منا للآخر في أي أمر من أمور الحياة،ولهذا لم تحدث أي مشاحنات ولا خلاف في وجهات النظر.

لم أكن رومانسية حتى أؤمن بكل هذه الأشياء التي أسمع عنها وأشاهدها في الأفلام والمسلسلات،لا أنكر أنه قد حدث

في الماضي أن تعلقت بأحد الأشخاص،ولكنه كان مجرد تعلــق وقتي يزول بعد بضعة أيام وبالطبع لا أستطيع أن أسميه حبًــا. لم أكن أظن أني سأقع في الحب،حتى قابلته.

كنت أعرف عنه الكثير قبل أن أراه من خطيبي فهــو أعــز أصدقاءه،حدثني طويلاً عن حيويته وانطلاقه وجنونــه،وكيف أنهما رغم الاختلافات في شخصيتهما إلا أنهما أعز الأصــدقاء. حدثني كثيراً عن حبه للفن وعاداته غير المألوفة وذوقه المجنــون، باختصار شديد كان شخصاً غير عادي...غير تقليدي، شعرت بكل هذا حين قابلته أول مرة،شعرت بمدى اختلافه عن خطيبي وعن كل من عرفت،فقد كان مميزًا يلفت النظر ويجذب العيون إليه لوسامته وجاذبية حديثه،نشيط، يحب الفن فهــو يعــزف الموسيقى،ويرسم اللوحات بل ويكتب الشعر والقــصص،يهوى القراءة،يعشق الطبيعة ويحب الجمال،رومانسي...جــذاب.... رائع.

وجدتني أنجذب إليه... أطيل النظر إلى هاتين العيــنين،حين رأيته أول مرة كنت متلهفة أن ينظر إلي لأعرف لــون عينيــه، ولأول مرة تجذبني عينا شخص ما،وأتلهف كل هــذه اللهفــة

لمعرفة لونهما،نعم... لم يحدث لي هذا من قبل، لقد شغلني وملأ نفسي وقلبي فأصبحت أكثر من السؤال عليه وعنـــدما أراه ألح عليه أن يخرج معنا،لقد ملأ ذلك الفراغ الذي كـــان يجـــب أن يملأه خطيبي،وبدلاً من أن أفكر في خطيبي أصبحت أفكر فيه هو ...وبدلاً من أن أتخيل نفسي وحياتي مع خطيبي بدأت أحلم به، لقد تسرب إلى نفسي حتى ملكني ولست أدري كيف ؟!

قضيت أيامًا طويلة أفكر في الحل دون جدوى،إن خطـــيبي يحبه كأخ له،ولن يتصور كل ما يحدث،إن ثقته فيـــه وفيّ بـــلا حدود،ويعلم الله أني لم أخن هذه الثقة ولم يخنـــها هو،ولكنـــه شيء أقوى مني وأقوى منه،شيء لا تصفه الكلمات،ولا يوقفـــه العقل ولا يمحوه التجاهل ولا يقاومه المنطق،لقد حدث... رغمًا عني ورغمًا عنه حدث... دون إرادتي ودون إرادتـــه حـــدث، ولكن ما الحل؟ لم أخبر أحدًا،ولم أستشر أي شخص،فلن يلتمس لي أحد عذرًا،وكأن مشاعري بيدي،وكأني أنا التي أوجدت كل هذا، كنت في حيرة شديدة.

في البداية كنت أريد أن أعرف سر هذا التعلق وهل هو تعلق وقتي كما حدث قبل ذلك؟ولكنه لم يكن وقتيًا بل كان قويًـــا طاغيًا،لدرجة أنه محا كل شيء له صلة بخطيبي.

وبعد فترة وجدته غير مقبل على الحياة كعهده،أصبح أكثـــر هدوءًا وصمتًا لدرجة أثارت قلق خطيبي عليه الذي أخبرني أنها أول مرة يخفي عنه شيء ما.

ثم بدأ يتجنبني ويعتذر عن الخروج معنا،ولكني كنت أعرف السبب،لقد أعطاني الحل دون أن يشعر فقررت أن أنهي كـــل شيء... خطبتي لخطيبي وحبي لصديقه!

وكان أهم شيء أن أجد سببًا كافيًا لإنهاء الخطبة،إن خطيبي شخص عادي تمامًا يخلو من أي عيب،لمـــاذا إذًا لم أحبـــه؟لماذا أحب شخصًا غير عادي وغير تقليدي؟شخص مختلـــف تمامًـــا عني؟ وقبل هذا وذاك شخص لا حق لي أن أحبه،أليس عجيبـــاً أن يكون هذا أول حب لي؟أن أحب وأنا ملك لشخص آخـــر ... أن يكون من المستحيل أن أعلن حبي وأبقى مع من أحب؟

لم يكن بيدي غير ما فعلت،بـــالطبع لم أخـــبره بالـــسبب الحقيقي،فيكفي أن أدمر مـــستقبله معـــي وحلمـــه بـــالزواج والاستقرار وتكوين الأسرة وإنجاب الأبناء،يكفيني تدمير كـــل هذا لن أدمر أيضًا صداقته الوحيدة.

لقد أخبرته أني أريد إنهاء الموضوع لأني توصلت إلى استحالة حياتي معه لأني لا أحبه...

أبدي دهشته الشديدة وصدمته من هذا الكلام السخيف وغير المنطقي.. ولكنه لم يملك إلا أن يستبسلم في النهاية. بكيت كثيراً بعد ذلك اليوم... لا أستطيع أن أنسى وجهه وملامح الصدمة عليه.. نظرات الهلع في عينيه،لا أستطيع أن أنسى صدمته وشعوره بالضعف والعجز.

لم يكن بيدي غير ما فعلت،لاشك أنه سينساني بسهولة فما كان بيننا لم يكن حبًا،سيقابل إنسانة أفضل مني بكثير،تستحقه لأنه يستحق إنسانة مثله خالية من العيوب.

لقد كان أصعب قرار أتخذه في حياتي، لم يصدق أحد أني أنهيت خطبتي،تلقيت الكثير من اللوم والتساؤل،وكان ردي حاضراً: "ما اتفقناش"،وبالطبع لم ولن يصدقه أحد.

ثم انتهى كل شيء وهدأت العاصفة وانقطعت أخبارهما عني،ولكني مازلت مشتاقة إليه....إلى جنونه وانطلاقه وإلى عينيه.كم أشتاق إليه وأتمنى أن أراه...أن أرى تلك العينين اللتان لم تفارقاني حتى الآن،نعم...مازلت أراهما وأرى نظرته العميقة

فيهما،لقد أحببته برغم كل شيء ومازلت أحبه ولكني تعلمت من التجربة...

لن أقترب من أي شخص آخر ولن أسمح لنفسي أن أكون مصدر ألم لأي إنسان.

سأعود إلى حياتي قبل شهور من الآن،قبل أن أقابلهما فأحب أحدهما وأدمر حياة الآخر،سأعود إلى وحدتي وانغلاقي وإلى حياتي العادية..ولكني لن أعود وحيدة بل سأعود ومعي كثير من الذكريات والآلام والحزن والدموع،ومعي أيضًا شيء جديد لم أذقه من قبل... شيء اسمه الحب.

صار حنينًا

"هناك أشخاص مثل الهواء لا نشعر بقيمتهم لنا إلا بعد رحيلهم"



أعلم أن خطابي هذا لن يصلك،فذلك المكان الغامض الذي ذهبت إليه والذي أجهل تمامًا أي شيء عنـه،لا تـصل إليـه خطابات،ولكني لم أجد إلا القلم صديقًا يخرج ما بـداخلي،و لم أجد إلا الأوراق لتتلقى مني هذا الاعتراف الأخير.

أعلم أنك ستتعجب من هذا اللقب الذي دعوتك بـه،ربما لأنك لم تسمعه مني من قبل،وربما لأنك لم تتوقع أن تـسمعه، ولكن الآن أستطيع أن أدعوك بـه،نعم فأنـت الآن عزيـز... عزيز..

لا أملك الآن شيئًا إلا هذه الدموع....دموع غزيرة لـست أدري أهي دموع الندم،أم دموع الـشوق،أم دمـوع ذلـك الإحساس القاتل بالذنب... بالجريمة.نعم إنه إحـساس قاتـل مروع،لقد جعلتك تتمنى الرحيل،بل وعاونتك عليه،و لم أكـن أعلم أني سأجلس هذه الجلسة أمام تلك الأوراق وأمام ضميري لأعترف أني نادمة على كل تلك الأيام وعلى أني لم أشعرك ولو للحظات بأنك زوجي!!

منذ تقدمت لخطبتي وأنا لم أشعر بأي انجذاب نحـوك،ولكني شعرت أنك أنسب من تقدموا إليّ.

وطوال فترة الخطبة وأنا أشعِرَك أنك لا شيء!!،وأنـه قـد تقدم لي من هم أفضل منك بكثير،كنت تتحمل مني كل ذلـك بصبر،بل كنت تجد سعادة في تدليلي وإظهار حبك لي،في حين لم تجد مني إلا الفتور والبرود.

ثم كان الزفاف في أحد الفنادق الراقية،لقد استمتعت فقـط بالحفل الباذخ،أما بعد ذلك فقد بدأ عذاب جديد،فمنذ الليلـة الأولى لم أتقبلك كزوج...نفرت منك بدون مبرر،وبرغم جميع محاولاتك للتقرب مني،ومحاولتك الجاهدة أن تكون رقيقاً معي.

كنت أكره لقاءاتنا الحميمة، أغمض عيني،وأحاول التركيـز في شيء آخر حتى تنتهي.كنت أحرص على ألا أحمل طفلـك بداخلي،ولهذا كنت آخذ أقراصًا لمنع الحمل.إلى هذه الدرجـة كنت أكرهك ولست أدري لماذا...كنت زوجًا مثاليًا،ولكني لم أر فيك إلا عدم تناسق ملابسك وزيادة وزنك،ولم أسمع منـك إلا تلك الأصوات المقززة والكلمـات الغريبـة،ولم أشـعر إلا بلمساتك الخانقة،كنت أرى كل النقائص فيـك ثم أرى كـل الإيجابيات في جميع الرجال.

استمر صمتك طويلاً و لم ينتابني أي شــعور بالذنب،لقــد حاول الكثيرون الحديث معي ولكني كنت أشعر بضيق شــديد من الحديث عن علاقتي بك وخاصة مع والدتك،كنت أشــعر ببغض شديد لك وهي تهتم بك وتدللك،و أشعر بضيق شــديد من أهلي عندما يظهرون حبهم لك،كنت أشعر أنهم سخفاء في كل ما يفعلون.

لماذا إذًا لم أقدم على إنهاء الزواج ؟

كنت معك أحمل لقب متزوجة رغم عدم شــعوري بأيــة سعادة لهذا اللقب،ولكني فضلته على ذلك اللقب البغيض،لقب "مطلّقة".واستمرت الهوة بيننا تتسع والنفور يزداد يومًا بعد يوم، وأنت كما أنت.

ثم بدأت تشكو لي من صداع ودوار،فلم أعر ذلك اهتمامًا، ولكن شكواك أخذت تزداد،و لم أهتم أيضًا،و لم أخبر أحدًا بــل لم أشجعك أن تستشر الطبيب .

ثم كان يومًا عدت فيه مجهدًا بدون سيارتك،وأخبرتني أنه قد أصابتك نوبة من الدوارأفقدتك السيطرة على السيارة فتركتــها وعدت وحدك، فلم أهتم أيضًا.

إلى أن كان ذلك اليوم الذي تأخرت فيـــه عـــن العـــودة، وأخذت أنتظرك و لم تعد... حادثة مروعة أودت بك... أكـــد الشهود عدم سيطرتك على السيارة،وكنت أنا فقط من تعلـــم السبب الحقيقي...لا شك أنها كانت إحدى النوبات التي كانت تصيبك.

لقد رحلت أيها العزيز تاركًا لي دموعًا لا نهاية لها،وندمًا لم أشعر به من قبل،ليتني أعطيتك ما تستحق مـــن اهتمـــام،ليتني ذهبت معك إلى الطبيب وأعطيتك الدواء،ليتك ظللت بجـــانبي و لم تفارقني .

أعلمت الآن كم أنا نادمة ؟

إني أتمنى الآن شيئًا واحدًا، أن تشعر بي لتعرف ندمي وحزني ..وتعرف أني أحبك ..وأنك زوجي العزيز !!

ثلاثية من وحي الطبيعة

١- الشلاّل

سأنساه.... يجب أن أنساه فليس هناك حل آخر،سأنساه بعد يوم أو أيام أو شهور،وربما سنوات ولكن في النهاية سيصبح ذكرى... مجرد ذكرى... لن تقف الحياة عند هذه النقطة،بل ستستمر وسأقابل غيره،وربما أحب مرة أخرى،إنها الحياة ...عدة تجارب قد تنجح مرة وقد تفشل مرّات.

ما كان يجب أن أترك نفسي حتى هذه المرحلة،ولكن متى كان بإمكاني السيطرة على مشاعري المندفعة كالشلال،نفس الاندفاع والقوة،اندفاع بلا توقف وبلا إبطاء،منظر خلاب أخاذ، ماء... مجرد ماء... رقيق شفاف وضروري للحياة،من منا يستطيع الحياة يومًا واحدًا بدون ماء ؟

وكذلك مشاعري،جميلة كجمال الشلال قد تقف أمامه بعض الوقت،قد تهتم به أكثر وتأخذ صورة أو بضع صور له، قد تقترب منه ولكنك أبدًا... أبدًا لن تلج فيه،ففيه الهلاك،إنها مشاعري... ضرورية كضرورة الماء فما حييت يومًا بدونها،إنها مشاعري... مصدر الطاقة فعندما أحب يتغير كل شيء،أصبح

مخلوقة أخرى أجمل وأرق،ترتفع معنوياتي وأنسى كل أحـــزاني، وكل آلام الماضي ويصبح كل شيء جميل ورائع،وأصبح أكثـــر نشاطًا للعمل والحياة والحب.

إنها مشاعري.... فياضة جارفة ومدمرة!!نعـــم مـــدمرة لي عندما تُقابَل بالبرود والفتور واللامبالاة،وربما تكـــون مـــدمرة للطرف الآخر أيضاً عندما يجد نفسه فجأة في بحر بلا شطآن من المشاعر الفياضة المندفعة،فلا يستطيع أن يواجـــه ذلـــك التيـــار الجارف.

لابد لكل هذا الماء الذي يحمله الشلال أن يصب في مكـــان ما... مكان كبير وفسيح يحتوي هذا الماء،ويظل يطلـــب منـــه المزيد.

مندفعة أنا ومتهورة...صوت القلب عندي أعلى وأقوى من أي شيء آخر،وآهٍ من هذا القلب،أليس عجيبًا،أن يكون ذلـــك العضو الصغير هو سر الحياة وهو في ذات الوقت سر الـــشقاء والدموع؟

ضعيفة أنا دائمًا أمام مشاعري،أمام قلـــبي الـــذي يحـــركني ويسيطر عليَّ،عاطفية أنا لأبعد الحدود،فكل شيء عندي تحركه

العواطف والمشاعر..تلك الفياضة المندفعة والـ ... الغبيـــة،نعم غبية ومجنونة وليس لها أي وصف آخر !!

كان خطئي منذ البداية،فقد تركت نفسي لــذلك الــشعور الذي لا يقاوَم،فعندما قابلته أول مرة كنت واثقة أني لن أحبـــه، فليس فيه أي صفة مما كنت أعتقد أنها ستكون فيمن ســأحبه، وأهم هذه الصفات أن يكون مثلي،رومانسيًا مجنوناً،يبحث عني مثلما أبحث عنه دائمًا.فالحب عنده ليس حدثًا عابرًا بل غاية لا تتم الحياة بدونها.

لم يكن هذا الشخص كذلك،بل على العكس كان واقعيًـــا عمليًا لأبعد الحدود،كان دائم السخرية مـــني ومـــن أفكـــاري ورومانسيتي الزائدة وعدم قدرتي على السيطرة على مـــشاعري واحتياجي وبحثي الدائم عن الحب..إنه العقل في أقوى صـــوره وأنا القلب في أضعف صوره .

تجاهلت صوت عقلي،الذي كان دائماً على صواب ومـــتى كنت أستمع له؟! لم أستمع أيضًا لكل من حذروني منه،ومن أنه لا يصلح لي ولا يصلح للحب وخاصة حبي أنا،فهو عملـــي... بارد...

حاولت إخفاء مشاعري،وتظاهرت بعدم المبالاة،متجاهلة رغباتي الملحة في أن أصارحه،وأن أنطق بتلك الكلمة المحببة لنفسي والتي كنت أقولها في صمت آلاف المرات كل يوم "بحبك"..

وبعد طول إخفاء لم أحتمل... صارحته... أخبرته بكل شيء...كشلالٍ مندفع ..ولم يحتمل هو هذه المشاعر.. فالأغبياء فقط يقفون أمام الشلال،ولم يكن هو غبيًا بل على العكس كنت أنا الغبية.

لقد صارحته ويا للندم... فقبل اليوم كنت أراه وأحدثه وأستمع إليه،كنت أنظر إلى عينيه، وأستمتع برؤية وجهه..

أما الآن... يا للأسف،لا أراه ولا أملك حتى حق الاتصال به،لقد كان مجرد ضغط أصابعي على أرقام تليفونه المحمول كأنما ألمس جسده،كانت مجرد عملية الاتصال به تأخذني في نشوه لا مثيل لها،أمسك تليفوني المحمول أضغط الأزرار...هكذا.... ببطء ثم أنتظر.. إلى أن يأتيني صوته الذي أعشقه.

طلب مني أن نكتفي بهذا القدر من علاقتنا معًا.. ورحل تاركًا لي كل هذه الذكريات المؤلمة..

تلك الذكريات التي كنت أتفنن في خلقها،أول يوم رأيته وماذا كنت أرتدي،وماذا كان يرتدي هو،الأماكن التي ارتدناها معًا... الطعام الذي يحبه... عطوره المفضلة... طريقته في الحديث... سيارته... صوته... بعض كلماته المميزة... كل شيء.

إنها دائماً نفس النهاية... رفضٌ لي ولمشاعري عودة للوحدة وللكآبة والبكاء..ذكرى جديدة وإضافة أخرى للتجارب السابقة،أما آن الوقت لكي أكف عن ذلك؟أن أتعلم من الدرس؟أن أدمر ذلك القلب... أقتلعه... ألقيه حيث لا أحد، أن أكف عن البحث عن المستحيل؟أن أعتاد الحياة بلا حب؟ بلا أن يكون هناك من أنتظر محادثته وأتجمل من أجله وأترقب لقاءه؟أن أعتاد أن ينقضي يومي دون أن يكون هناك مصب لهذا الشلال؟

ولكن كيف؟كيف يمكنني أن أقف أمام هذا الشلال وأقاومه؟ كيف وأنا بهذه الهشاشة والضعف والاحتياج الدائم للحب والاهتمام؟..لافائدة... لن أستطيع،وستبوء كل محاولاتي بالفشل،فلا شيء يشغلني عنه،فهو دائماً معي،محفور بداخلي لا ينمحي.

ولكن يجب أن أنساه... ليس أمامي غير ذلك،سـأبكي... سأشتاق إليه كثيراً،سأتذكره،لا مفر مـن أن أتـذكر ولكـن سيمضي كل ذلك بمرور الوقت،ثم أعتاد عـدم وجوده،وربما أقابل غيره وأبدأ من جديد ولتذهب كل النظريات إلى الجحيم، وليذهب عقلي أيضاً إلى الجحيم،لن أتوقف،سأنسى ثم أعـاود الكرة وأبحث من جديد وربما سيكون هنـاك جـرح جديـد وذكرى جديدة .

مجنونة أنا بلا شك... ولكن من يدري... ربما أقابله ذلـك المجنون الذي يقبلني ويحبني وأجد لديه مصبًا لذلك الشلال.

٢- البركان

يقول علماء الأرض أن البركان هو شقٌّ في القشرة الأرضية، تخرج منه الحمم الملتهبة بفعل الضغط الشديد والارتفاع في درجات الحرارة،فيحدث الانفجار البركاني مصحوباً بالزلازل.

ويقول الفنانون أن انفجار البركان من أروع المناظر الطبيعية التي نجدها على الأرض،فالحمم الناتجة عن البراكين تجمع بين ألوان رائعة براقة جذابة،لا تملك إلا أن تقف أمامها مشدوهًا مأخوذًا من روعة ما ترى.

ويقول سائر الناس أن البركان هو شيء فظيع مدمر، يجب أن نحتاط له ونهرب منه ففيه هلاكنا.

أما أنا... فأقول أن البركان هو ما حدث لي، فقد انفجرت كالبركان بعد طول سكون،وكما يدمر البركان ويمحو البشر دمرني ذلك البركان ومحاه من حياتي .

لقد أخبرته بكل شيء،بكل مشاعري تجاهه... باهتمامي ولهفتي و... وحبي،بكل ما جاهدت في إخفائه طوال المدة

الماضية،كان لابد أن أنفجر، فلست أنا من تتجاهل مــشاعرها، وأنا الإنسانة التي يسيرها قلبها وتلهو بها مشاعرها كيف تشاء، فبعد شهور من الصمت وإيهام النفس أني لا أحبه وأنه شخص عادي، وبعد طول السهر والتفكير واللهفة والانتظار انفجرت..

وكما ينفجر البركان عن أشياء رائعة المنظر شديدة السخونة انفجرت أنا عن مشاعري تلك الفياضة الرائعة الجذابة شــديدة الحرارة شديدة الصدق،وكما يدمر البركان ويمحو البشر دمرني ومحاه من حياتي فلم أعد أراه أو أسمع صوته الجميل ....

رحل...فلم يكن قادرًا على مواجهة ذلك البركان،فالأغبياء فقط يقتحمون البراكين وهو لم يكن غبياً.

بمنتهى البساطة أخبرني عبر التليفون:

"يستحسن ما نشوفش بعض تاني".

وأنهى المكالمة وأنهى معها كل شيء ...

محاه البركان من حياتي،ويا للندم...ليتني ما انفجرت..فقبــل الآن كنت أراه وأستمتع بالنظر إليه والاستماع إليه،لقد كان له وجود ولو بسيط في يومي،ولكنه كان موجودًا.أما الآن..فليس إلا الفراغ والوحدة والشوق...

بالطبع هو لا يصلح لي،فنحن مختلفان أشد الاختلاف،كـــل هذه العادات الغريبة في شخصيته العملية،ولكني وجدتني منجذبة إليه، أذوب فيه وأتلهف على رؤيته وأنتظر مكالمته،وأتخيل أشياءً أخرى ليست من حقي.

لقد كنت أعلم أنه لا يحمل لي أي نوع من المشاعر غير تلك التي بين الأصدقاء،لطالما سخر من رومانـــسيتي الزائـــدة ومـــن حساسيتي المفرطة ومن هذه العاطفة التي تحكمني وذلك القلـــب الذي يسيرني،لطالما اتهمني بالضعف والحيـــاة في الأوهام،لطالمـــا حذرني من اندفاعي وراء قلبي.

لقد كان العقل في أقوى صوره،والعقل دائمًا يحـــذرنا مـــن الخطر، يحذرنا من البركان ويأمرنا أن نبتعد عنه فهـــو مـــصدر الدمار والموت،بينما أنا القلب في أضعف صوره والقلب يغرينا بالبقاء ومشاهدة روعة المنظر،لقد أبعده عقله عني وقربني قلـــبي منه ثم أبعدني عنه بعد ذلك الانفجار..

ذكرى جديدة...علامة أخرى في حياتي...جـــرح جديـــد، وألم غير قابل للشفاء. أما آن لي أن أتعلم من أخطائي؟أمـــا آن لهذا القلب أن يتركني؟أما آن لهذا العقل العاجز أن ينتصر ولو في

جولة واحدة.أكُتِبَ عليَّ هذا العذاب؟ألن تنضب تلك المشاعر الفياضة؟ألن أزداد صلابة وأتعلم من التجارب الفاشلة؟

لشد ما أنا شبيهة بهذه الأرض التي نحيا عليها،فهي كبيرة لا حد لها،شديدة الاحتمال، لا تبخل بما لديها من قـــدرة علـــى العطاء،عطاء بلا حدود واحتمال بلا حدود،ولكنها عندما تثور فثورتها أيضاً بلا حدود، قاتلة...مدمرة... ولكنها رغم قوتهـــا وصلابتها وثباتها،ورغم احتمالها لكل ما يـــدور فوقهـــا فهـــي مازالت تدور وبنفس الطريقة،ومازالت لا تستطيع أن تكبت ما بداخلها فتثور وتنفجر وتدمر وتهلك،ثم تهدأ ثم تعـــاود الثـــورة مهما طال السكون.

سأهدأ إذًا، وربما أثور من جديد،وكما تدور الأرض سأحيا ولن يخمد أبداً ذلك البركان .

٣- الصخرة

غريقٌ في بحر شاسع لا نهاية له تتلاطم فيه الأمواج فتقذفه بلا رحمة.لقد قاوم كثيرًا وبذل كل طاقته حتى لا يغــرق ويهلــك ولكن بلا فائدة،فالبحر شاسع والأمواج قوية والظلام لا نهايــة له، وبعد طول مقاومة وبعد أن أنهكه التعب استسلم لقــدره، وترك جسده الواهن للأمواج العاتية تعبث به كما يعبث الطفل بلعبته، فيحملها تارة ويلقيها تارة..

وفجأة....حملته موجة عنيفة في اتجاه شيء بعيــد....إنهــا صخرة..وبكل ما بقي له من قوة، سبح مع الموجة بدلاً من أن يقاومها هذه المرة،فحملته الموجه وحمله الأمل وحــب البقــاء، ونسي في غمار هذه الآمال والأوهام أنه مندفع بدون أية مقاومة تجاه صخرة،نسي أنها صخرة....قاسية...صلبة لا حياة فيها... نسي أن هذا الاندفاع سيتولد عنــه اصــطدام شــديد بهــذه الصخرة..

وقد كان...

حملته الموجه وقذفته فتلقفته الصخرة بلا رحمة، واحتـــضنها وكأنها شاطئ النجاة فإذا بها مصدر الألم....

ولم يستطع أن يستمر في هذا الوضع المؤلم،ترك نفسه لموجة أخرى تحمله بعيدًا بعد أن لفظته الصخرة.

ليته قاوم هذه الموجه العاتية،ليته لم يستـــسلم لهـــذا الأمـــل الخادع والوهم الكاذب،فقبل الآن كان يعاني الضياع واليـــأس أما الآن فهو يعاني شيئًا جديدًا مع كل هذا،يعاني الكـــثير مـــن الألم والجراح التي لا تلتئم،ولا يعلم إلا الله مصيره في هذا البحر المجهول ولا يعلم إلا الله متى ستشفى هذه الجراح .

أنا ذلك الغريق البائس،وحياتي هي ذلك البحر المظلم،أمـــا هذه الأمواج العاتية العنيفة فهي مشاعري التي تتقاذفني والتي لا قبَل لي بمواجهتها،وهذه الصخرة هي ذلك الشخص الذي دخل حياتي من حيث لا أدري،ودون سابق إنذار فلم أملـــك إلا أن أحبه،وبرغم اختلافه وبرغم كل التحذيرات التي تلقيتـــها مـــن الآخرين: " إبعدي عنه...ده ما ينفعكيش" حرصت طوال المدة الماضية أن أكتم هذه المشاعر الهوجاء، فقاومـــت وقاومـــت ثم استسلمت، أخبرته بكل شيء وليتني لم أفعل ....

لم يقدر على مواجهة هذا التيار العاتي من المشاعر،لقد خشي الغرق،تركني فلم أكن إلا مجـــرد صـــديقة لـــه،وهو لا يعـــدم الأصدقاء حتى يبقيني في حياته.

ليتني واصلت الكتمان..فقبل الآن كنت أعاني مـــن كبـــت مشاعري ومن حبي الصامت له،من مشاعره الباردة وسخريته، وبرغم كل هذا أحببته،وانجرفت مع هذه المشاعر التي دمـــرتني ودمرت حبي له وحرمتني منه إلى الأبد.

كنت أراه وأحادثه وأستمتع بقربي منه،كنت أستمتع بلمسة يده عندما نتقابل أو نفترق،كنت أستمتع بالنظر إليه والاستماع لصوته وانتظاره.. أما الآن.... فقد حُرمت من كل هذا، وماذا أنتظر منه غير ذلك؟ إن الأغبياء فقط ينتظرون أشـــياءً وهـــم يعلمون أنهم لن يتمكنوا من الحصول عليها،وأنا غبية لا عقـــل لي..لن أراه بعد اليوم ...

ذكرى جديدة وعلامة مؤلمة أخرى في طريق حيـــاتي،جرح جديد لهذا القلب الذي لم يعد فيه مكان لأي جرح آخر،ولكنه مازال مصرًا على البقاء، يستعذب الجرح ويتشوق للألم .

سأنساه ...نعم سأنساه،سأنساه بعد يوم أو أيام أو شهور أو سنوات،لن تتوقف الحياة ولن يجف البحر ولن تنتهي الأمـــواج ولن تختفي الصخور،سأنسى حتى أقابل صخرة أخرى أو أصبح أنا صخرة.

الخـريف

"كشخص في صحراء قاحلة، تحت لهيب الشمس، يشعر بعطش يكاد يقضي عليه، وإذ به يجد نبعًا صافيًا باردًا فيندفع نحوه كالمجنون ويشرب من الماء حتى يرتوي..."

ماذا حدث لي؟ أمازلت نفس الإنسانة؟لست أدري.

أشعر بضياع شديد ودهشة لم أشعر بهما من قبل،ما هـــذا الذي فعلت وما الذي جعلني أفعله؟

لم يبقَ من كل هذه العلاقة القصيرة العاصفة إلا ذلك الشعور الجديد بالدهشة،أحقًا فعلت ما فعلت؟أحقًا لم يثر فيَّ كل مـــا فعلت أي شعور بالذنب أو تأنيب الضمير؟

ماذا حدث لقلبي؟ما له يبدو الآن صامتًا ساكنًا،لا أشعر إلا بضرباته العادية؟أين ذلك الشعور بـــالألم الـــذي داوم علـــى اعتصاره؟أين كل تلك الأحاسيس العنيفة التي كانت تنتابني بعد انتهاء علاقة حب عشتها بكل ما فيها؟

حين دخل حياتي هذا الشخص عن طريق المصادفة البحتـــة، وكأن القدر كان يسوقه لي ويسوقني إليه، شـــعرت بانجـــذاب شديد إليه تحول إلى إعجاب ثم... حب،نعم أحببته فليس هناك اسم آخر لكل ما كنت أشعر به نحوه إلا الحب.

وبعد أيام أحسست بهدوء يكتنفني،هدأت الحرارة وسكنت الأمواج،وأفسحت المشاعر مكانًا لشيء لعين يسمى الملل،لقـــد

سئمت كل ما كنت فيه،كشخص في صحراء قاحلة تحت لهيب الشمس،يشعر بعطش يكاد يقضي عليه، وإذ به يجد نبعًا باردًا، فيندفع نحوه كالمجنون ويشرب من الماء حتى يرتوي،ثم يمضي في طريقه دون أدنى تفكير في ذلك النبع الذي أعاده للحياة.

لقد زهد الشيء بعد أن ناله، نال كفايته وأكثر،كان ذلـــك شعوري بالضبط، لم أدرِ ماذا أفعل وأنا أرى مـــشاعري تفتـــر وتمضي في طريقها إلى التلاشي..

ثم بدأ يشعر بفتوري فكان لابد أن أفعل شـــيئاً،أن أحـــرك الموقف من مجرد السكون،يجب أن أخبره فالصراحة هي أفـــضل وأقصر الطرق، لم أفكر ماذا ســـيكون وقـــع هـــذه الـــصراحة عليه،كنت أفكر فقط في شيء واحد:لا أريد الاستمرار معه .

وذات مساء،قابلته وبدأ يحدثني عن عمله الجديد،كان يحدثني عن خططه المستقبلية،والحياة الرائعة التي تنتظرنا،وإذ بي وبمنتهى البرود أقول:

- خالد... أنا مش هقدر أكمل...

بعد فترة من الصمت قال:

- هه... إنتي قلتي إيه ؟

- زي ما سمعت... أنا مش هقدر أكمل .

- انتي بتهرجي..صح؟زعلتي عشان عمال أكلمك عن الشغل،ده أنا صحيح مش بفهم،خلاص...خلاص يا حبيبتي أنا آسف مش هكلمك عن الشغل تاني، قوليلي بقى....

- يا خالد افهمني من فضلك،

- أفهم إيه ؟؟

- خلاص مش حاسة ناحيتك بأي مشاعر،مش حاسة بالحب اللي كنت حاسة بيه في الأول.... مش هقدر أكمل...

- وكلامك ليا و... وكل حاجة ... لا ... انتي أكيد ...... لا أنا مش مصدق ... أنا هتجنن

- أنا عمري ما خدعتك يا خالد،أنا كنت بطلع اللي جوايا ودلوقتي أنا برضه بطلع اللي جوايا،كويس إننا لسه ما ارتبطناش،وإن الموضوع لسه في أوله وإن...

- إيه!ما ارتبطناش؟قصدك إيه؟أمال اللي بيننا يبقى إيه؟أنا...أنا مش مصدق...

- ما ينفعش نكمل مع بعض يا خالد... أنــا مــش أحــسن واحدة في الدنيا،وأكيد هتلاقي واحدة أحــسن مــني تحبــك وتسعدك...

أجابني والدموع تملأ عينيه:

- ومين قالك إني عايز واحدة تانية؟ أنا عايزك انتِ... أنا مش متصور حياتي مع حد تاني غيرك،أنا بصحى كل يوم عشان أبدأ يوم جديد معاكي،يوم يقربنا من بعض أكتر، انتِ إزاي مــش قادرة تحسي بيا؟طب كنتِ عايزة إيه أنا ما قدرتش أديهولــك؟ ده احنا خلاص كان هيبقى اسمنا مخطوبين... لا أنا لسة مــش مصدق عشان خاطري قولي إنك بتهرجي...

- أنا مش بهرج يا خالد،ده قرار ما فيهوش تهريج،أنــا فعــلاً بحترمك وسعيدة جداً إنك دخلت حياتي،ومش عارفة أشــكرك إزاي على الأيام الجميلة اللي عشناها سوا، وهفضل فــاكراك على طول بس مش هقدر أديلك حاجة، صدقني غصب عــني، ما حدش بإيده يستدعي المشاعر أو ينــسهيها،وأنت عــارف إن مشاعري مش بإيدي وهي اللي ممشياني على طول ودلــوقتي.. خلاص..ما فيش .

- طب قومي عشان أوصَّلك.

وجذبني واندفع خارجًا،ولم ينس ونحن نعبر الطريق أن يكون هو في مواجهة السيارات — كعادته — لم يصطحبني بسيارته ولكن أوقف لي تاكسي،وما أن استقل سيارته حتى وجدته يتصل بي ولم أدر ماذا أفعل،أجبته :

- خالد... مش هعرف أتكلم وأنا في التاكسي... لما أروَّح هكلمك.وعندما ذهبت إلى المنزل أغلقت التليفون و... ونمت، نعم ذهبت إلى النوم بمنتهى الهدوء وبي شعور كبير بالراحة بأني تخلصت من قيد ثقيل كان يكبلني..

وفي اليوم التالي ذهبت إلى عملي كالمعتاد،وتركت تليفوني مغلقًا في المنزل،وعند انتهائي وجدته ينتظرني قائلاً :

- أنا مارحتش الشغل النهاردة وطول اليوم بحاول أتصل بيكي...كان أثر البكاء ظاهرًا في عينيه، لم يثر فيَّ كل هذا أي شعور بالشفقة بل على العكس،كنت أشعر بضيق واختناق منه، من صوته المتقطع وبقايا دموعه، من حزنه وضعفه،من حبه وتعلقه بي، من كل شيء.

كنت أريد أن أصبح فيه أن يتركني ويرحل،فلست آخر النساء، لم أشعر نحوه إلا بالرغبة في الفرار منه.

كان ذلك آخر يوم رأيته فيه،وهكذا طويت هذه الصفحة كل ما بقي لي من رواسب لهذه العلاقة القصيرة العاصفة هو . ذلك الشعور بالدهشة،كيف أصبحت بلا قلب هكذا؟

هل لأني كنت أنا الطرف الأقوى وأنا التي أنهيت العلاقة؟ أنا التي تركت وأنا المعتادة أن أُترك؟ أنا التي مللت وأنا المعتادة أن يُمل مني؟كيف انقلبت الآية لأصبح أنا بهذه القسوة ؟

يبدو أني لم أعد أصلح للحب...

بعد الرحيل

"كل شيء يولد صغيرًا ويكبر مع الأيام، إلا الحزن ..."

(١)

" حمداً لله ... كان حلماً "

هكذا حدثت نفسي وأنا أستيقظ هذا الصباح،ولكن سرعان ما أدركت خطئي، لم يكن حلماً بل واقعاً فظيعاً.

كل شيء حدث بالفعل؛رحيل زوجي ومرض ابني وانهياري التام ثم شفائي، وأخيراً زواجي من شقيق زوجي!

أما زلت أعيش تلك الأوهام؟أمازال عقلي وقلبي يرفـــضان تصديق هذه الحقيقة البشعة؟ ...

ما زلت أصحو كل يوم على نفس الجملـــة وعلـــى نفـــس الأمل؛ أن يكون كل هذا حلمًا، بل كابوسًا فظيعًا بشعًا،ولكن شأنه كشأن سائر الأحلام حزينها وسعيدها، لن يلبث أن ينتهي وأعود من جديد "ليلى" البشوشة المتفائلة، الـــسعيدة بزوجهـــا الشاب وطفلها الجميل.

ولكن هيهات لقد رحل محمود، وهاهو علاء ولدي يـــذوي أمامي، وذلك الرجل الغريب القريب أصبح زوجـــي!

يا لتقلبات الحياة ويا لتصاريف القدر،لشد ما انقلبت حياتي رأساً على عقب في تلك الأيام الأخيرة.فمنذ شــهور ليـست ببعيدة كنت زوجة سعيدة لزوج لا أستطيع وصفه إلا بكلمــة رائع ..

ولكنه رحل..ذهب..مات..فجــأة ودون مقــدمات ودون إنذار،رحل دون أن أتزود منه بما يمكنني من الحياة بدونه!

لن أنسى تلك الليلة العاصفة اللعينة،وكأنه كان يعلــم أنــه راحل،فحينما كان يودّعني وعيناه مثبتتان على وجهي بنظــرة غريبة مخيفة،نظرة لم أرها في هاتين العينين الجميلتين من قبــل. كان لابد أن أشعر أنها النهاية!يا لحماقتي،لماذا لم أسأل نفــسي: لماذا في تلك الليلة اتصلت بنا والدته لتوصيه أن يؤجل السفر،أو ألا يسافر بسيارته؟لماذا رجته أن يتمهل في القيادة؟لماذا طلبــت منه وألحت أن يتصل بها عندما يصل إلى الإسكندرية؟لماذا لم أرَ في كل هذا إشارة إلى شيء ما؟ألست أمًا أنا أيضاً وأشعر بكل تحركات طفلي؟لم أتعجب سوى من تلك النظرة العميقة المخيفة التي رمقني بها قبل أن يرحل.نعم كان يعلم أن راحل وأنه لــن يعود،ولم يعد،وعندما استيقظ علاء في منتصف الليــل يبكــي

ويصرخ بصورة مرعبة، لم أرَ في ذلك شيئاً غير طبيعي، بل ظننته مغصًا طارئًا، ولكنه لم يكن صراخ المغص،بل كـــان إحـــساس ذلك الملاك بالفاجعة؛برحيل والده حتى قبل أن يسمع منه كلمة "بابا".

رباه..ما زلت أذكر تفاصيل تلك الليلة السوداء رغم كل ما حدث.أذكر ذلك الاتصال قبيل الفجر الذي أنبـــأني بـــالخبر، تلقيت النبأ في صمت لم أنطق بكلمة ...

صمت لا يقطعه سوى طنين التليفـــون بعـــد أن ســـقطت السماعة من يدي،وصرخات الصغير الذي أحمله،وأنا شبه فاقدة للوعي،ثم أذهب إلى جارتي وأعز صديقاتي "مني"،وأطرق بابهـــا في تلك الساعة المتأخرة فيفتح لي زوجها الباب مترعحـــاً،وهي تهرول من وراءه،ثم أخبرهما بما حدث في جملة مقتضبة :

"في واحد كلمني وقالي محمود عمل حادثة و..ومـــات" ثم أفقد الوعي ويسقط صغيري على الأرض،ليصاب في رأسه كما أصيب في والده،وتتوالى الأيام كئيبة حزينـــة مليئـــة بالـــدموع والبكاء، ووجوه سيدات متشحات بالسواد،تتوافد علي تتمـــتم بكلمات عزاء لا فائدة منها،وأنا ما زلت صامتة ذاهلة، لم أبـــكِ

ولم أنتحب، لم أمزق شعري ولم أضرب وجهي فما كنت مصدقة رحيله.كنت في حالة من الذهول وعدم التصديق،كان عقلي يأبى إلا أن ينتظر عودته..ولكنه لم يعد!

بعد ذلك بدأت أفيق على الحقيقة؛لقد ذهب..رحل..مات.. لن يعود،نعم لن يعود فالموتى لا يعودون!!

وهنا كان انهياري التام،بكاء ونواح،وصراخ يقطعه إغماء، ثم لحظات ذهول وصمت،ثم خيالات غريبة،ثم ظلام..وهكذا.

بعد شهور بدأت أستعيد كياني.

لم أرضخ لتوسلات أخي،ولا لأوامر أبي الصارمة أن أعود للحياة معهم وأترك بيتي،بل على العكس رضخوا هم لعنادي وتركوني أحيا بمفردي مع صغيري في ذلك البيت الذي شهد تلك السعادة وشهد نهايتها وشهد حياتي دون ذلك العزيز الراحل .

وبدأت أراه -زوجي الراحل- وأحدثه وأضحك معه وكأنه مازال معي.أنتظره في موعد عودته من عمله وقد أعددت له صنوف الطعام التي يحبها، ثم أتركه لينام كالمعتاد بعد أن أنزع سلك التليفون حتى لا يزعجه رنينه،وبعد أن يستيقظ أجلس معه

نتحدث ونضحك ونداعب علاء إلى أن يحين موعـــد نومـــه.ثم أستيقظ معه في الصباح لأعد له ملابسه وإفطاره.

إلى أن أشفق الناس عليَّ من أن أجن،فجاء ذلـــك القـــرار الصارم الذي رضخت له بعد طول رفض؛وهو زواجي من أحمد شقيق محمود .

لقد كان أعجب زواج شاهدته،كنت أرتدي ثوبي الأسود، أحمل طفلي الصغير متشبثة به،وبعد بضع لحظات أُصبح زوجـــةً لذلك الرجل الغريب القريب، شقيق زوجي .

هذه أول مرة أمسك بالقلم لأكتب مذكراتي،فاليوم لـــيس يوماً عادياً،إنه ذكرى رحيل محمود،وقد عدت من منزل والديه، بعد أن أحيينا ذكراه فجلست لأكتب هذه الـــسطور بعـــد أن عاهدت نفسي وعاهدته أن أكتب في مثل هذا اليوم من كـــل عام بضعة سطور أقص فيها ما حدث خلال عام..

سأعاود الكتابة في مثل هذا اليوم من العام القادم إن شـــاء الله.

(٢)

مضى عام على جلستي تلك أمام الأوراق أكتب تفاصيل تلك الليلة الحزينة،ولكن تغير الكثير في هذا العام؛لقد خفتت حدة الفاجعة وبدأت أستعيد حياتي الطبيعية،شفي علاء من إصابته وأصبح طفلاً جميلاً يملأ البيت سعادة وسرورًا، لم أعد أوهم نفسي أن محمودًا عائد،وأن ما حدث كان حلماً سينقضي.

بالطبع لم أعد كما كنت قبل رحيله،ولكني أصبحت طبيعية إلى حد كبير،أما زوجي ذلك الرجل الطيب الصبور فقد أدركت أنه لا يختلف كثيراً عن زوجي الراحل.نفس المرح والبشاشة وطيبة القلب.حقاً لا يختلف عنه كثيراً، لم أعد أراه كشخص غريب،بل أصبحت أراه كزوجي،وأقوم بكل واجباتي الزوجية نحوه فهو يحبني حقاً ويتفنن في إسعادي وإسعاد طفلي، فلن يكون جزاءه مني النفور،لقد تحملني كثيراً وتحمل شعوري بالنفور منه وتحمل صمتي وشرودي وغرابة أطواري وبعدي عن الحياة معه، لم يكرهني أبداً على فعل مالا أرضاه،بل كان دائماً

طيب القلب كعادته، متفهماً لحالتي وظروفي.أنا أشعر أنه يحبني حقاً فنظراته الجميلة تنطق بذلك دون أن ينطق لسانه،لقد مضى أكثر من عام على زواجي منه ولم أره غاضباً،ولم ألحظ عليه أي مظاهر عدم الارتياح أو النفور مني أو من علاء،إنه يحبه حقاً وعلاء أيضاً مولع به.كم أتمنى أن أحبه وأسعده كما يحبني هو ويتفنن في إسعادي ويحب طفلي ويتفنن في إسعاده.لا أستطيع أن أنسى نظراته القلقة على علاء في مرضه وسهره بجانبه،ولا مساندته لي ونظراته إليّ حين أجريت لي تلك العملية الجراحية لاستئصال الزائدة،كان دائماً معي بوجهه الباسم ونظراته المحبة،سأعاود الكتابة في مثل هذا اليوم من العام القادم إن شاء الله.

(٣)

خلال العام الماضي عدت كما كنت من قبـــل ليلـــى الجميلة البشوشة السعيدة.نعم لم أعد تلـــك الكئيبـــة الحزينـــة الصامتة، لم أعد أرتدي تلك الثياب السوداء،بل أصبحت أرتدي ما يختاره لي زوجي،أقبلت على حياتي معه كزوجـــة محبـــة،وأم تنتظر حدثًا سعيدًا.

لقد أصبحت أحب أحمد ورحل عني ذلك الحـــزن وتلـــك الكآبة الفظيعة،يجب أن أنسى ولن أعود لتلك الأيام الحزينـــة. أريد أن أحيا بجانب زوجي الحبيب وطفلي كزوجة محبـــة وأم مثالية.

لن أنسى محمود ولن يغيب عن قلبي،ولكني موقنة أنه يـــراني الآن،ويشعر بي،ولا شك أنه راضٍ عن هذا تمام الرضا.

ربما لم تعد بي حاجة الآن للكتابة ...

الرحلة

"كل من رآها كان يتساءل عن سر هذا التغير المفاجئ فتخبرهم أنه الملل ..... الرغبة في التجديد، ولكن بداخلها إجابة واحدة : الرغبة في النسيان" .



الأربعاء، الثامنة مساءً :

" كفى كفى... لم أعد أستطيع الاحتمال أكثر من هذا "

وانفجرتْ في البكاء بعد أن وضعتْ السماعة.ستنهي كــل شيءٍ وليذهب هو إلى الجحيم،ويذهب معه كل هذا الحب وكل تلك الخرافات التي باتت موقنة أنه لا وجود لهـا إلا في ذلــك الخيال الرومانسي المريض،نعم ستنهي كل شيء، عــامين مــن الارتباط والحب والسعادة.ستضحي بكل شيء فلم يعــد هــو ذلك الشخص الرائع الجذاب الذي بهرها بحــضوره ووســامته وثقافته واختلافه.

عندما قابلته لأول مرة في الجامعة أحست أن عقلها وقلبــها قد عقدا صلحاً واتفاقاً لأول مرة..كانت تعلم منذ الوهلة الأولى أنها ستحبه،بالرغم من أنها فتاة قوية،رأت الكثير وتعلمت الكثير والكثير مما سمعته من صديقاتها،حتى أصبح عقلها صاحب الأمر.

"إنه هو ...." رددها عقلها وقلبها معاً بعــد طــول تنــافر وشقاق ...لم يكن هو صعب المنال أمام تلك الفتــاة الجميلــة

الجذابة التي أصبحت مطمع الكثيرين في الكلية لجمالها ولباقتها وجاذبيتها،كان ذلك الصراع الدائم داخلها بين عقلها وقلبها يحجب عنها الكثيرين.حتى وجدته جذابًا أخاذًا رائعًا،وبدأ الحب عاصفًا عنيفًا ملتهبًا،وإذ بشخصيتها القوية تستسلم وتستكين أمام ذلك الإنسان الرائع..لقد أحبته وأحست بقلبها يمتلئ بشعور غريب لم تعهده من قبل،كانت تعجب من تلك المشاعر الفياضة بداخلها وتتساءل أين كانت كل تلك السنوات؟ولماذا لم توسع ذلك الشخص بحثًا كعادتها؟لماذا تركت يدها في يده عندما صافحته أول مرة؟لماذا بادلته تلك النظرات العميقة؟لماذا بدأت تهتم بمظهرها كل يوم؟لماذا أصبحت سعيدة ومتفائلة ومقبلة على الحياة؟لماذا تشعر بسعادة بالغة حينما تفكر فيه؟لماذا تشعر دائماً بحاجة إليه؟لماذا تبحث عنه دائمًا داخل الكلية؟وتبحث عن أي شيء يذكرها به في أي مكان تذهب إليه؟لماذا تشعر أنها..أنها.. تحبه؟

.. واستسلمت.. "أنا أحبه".

كانت تفكر فيه دائماً ولا تتخيل حياتها بدونه،تسترجع أياماً سابقة قبل أن يلتقيا، تتذكر كم كانت تلك الأيام كئيبة

وخالية. كانا متماثلين في كل شيء فلم يكن من الصعب أن يتقارب قلباهما..أصبح لكل شيء معه طعمٌ خاصٌ،ذهابهما إلى الكلية لتراه،حضور المحاضرات بجواره، لقاؤهما يوم الخميس المقدس.

كانت تتفنن في خلق الذكريات حتى أصبحت لا تجد منفذًا للتفكير في أي شيء غيره،كان يملأ حياتها باهتمامه،لقد أعطاها لأول مرة إحساسًا بأنها كائن مهم،مصدر سعادة لشخص آخر، بل هو كل حياة شخص آخر،كانت تعلم أنه يحبها كما تحبه، كم كان جميلاً ذلك الحب،ومضى عام فتخرج هو، بينما واصلت هي دراستها في عامها الثالث..بدأ ينشغل عنها تدريجياً في حياته الجديدة،بدأت مكالماته لها تقل،ونادراً ما يجيب مكالماتها،فهو إما في اجتماع أو مشغول بعمله.ولكنها كانت تعوض ذلك الجفاء بمزيد من الاهتمام والحب فقد كان يشغل كل تفكيرها حتى إذا لم تره كل يوم،ومضى عام آخر ولكنه لم يكن كالعام الذي سبقه..

لقد تغير كثيرًا في هذه الأيام،وبدت أفكاره أكثر تشاؤمًا وفترت لهفته عليها،بدا لها أنه قد ازداد الكثير من الأعوام عن عمره الحقيقي.

وبدأ عقلها في التحذيرات وقلبها في التبريرات،وهي حـــائرة مجهدة ضائعة،فهي تحبه وتريده،ولكن عقلها يحذرها ويوصيها:

" ابتعدي عنه كما ابتعد، إياكِ أن تتنازلي عن موضع القوة، يجب أن يسعى إليكِ،لا تحادثيه اليوم وعنـــدما ينتابـــه القلـــق سيحادثك هو،لا تظهري لهفتـــك عليـــه،لا داعـــي لكلمـــة "وحشتني"،لا داعي لكل هذا الاهتمام،لا تظهري مشاعرك"

ولكن قلبها ينفي كل ذلك :

" لقد أصبح رجلاً مسئولاً،يعمل جهـــده ليحقـــق لكمـــا مستقبلاً جميلاً، لم يعد ذلك الشاب الذي لا يعرف في الحياة غير الاهتمام بكِ،إنه يحبك كما تحبينه،لا تقلقي إني أحمل لـــه مـــن الحب ما يكفيكِ ويكفيه ويكفي العالم بأسره،إني أحمل له حبًّـــا واهتمامًا وحنانًا له وحده،ستأخذه الحياة والعمـــل والمـــشاكل ولكنه سيعود..سيعود إليَّ أنا..قلبك..فأنا المكان الوحيد الـــذي يشعره بالأمان،لن يخرج مني أبداً تأكدي من ذلك "

ولكنها لم تعد تحتمل أكثر من ذلك،مع كل هذا التجاهـــل والفتور،لن تضع كرامتها في ذلك الموقف المهين.ينبغي أن تفهم من تلقاء نفسها دون أن يخبرها هو.إنه لم يعد يحبها، فقد كانت

مجرد مرحلة في حياته.ربما تكون هناك فتاة أخرى،ربما أصبَحت بالنسبة له طالبة صغيرة ساذجة،بينما هو الرجـــل العامـــل ذو الخبرة.

وقضت أياماً كئيبة،فقدت فيها الكثير من وزنهـــا ورونقهـــا وجمالها،ومازال الصراع قائماً،وما زالت في تلك الدوامة.

ولكنها اليوم لم تعد تحتمل،فبعد يومين من الانقطاع حادثته فلم تجد إلا الفتور،وعندما سألته "هنخرج بكره ؟" إذا به يـــرد قائلاً "مش عارف لسه..هبقى أكلمك .."

إنه يوم الخميس،يومهما المقدس،فطوال عامين لم يمـــضياه إلا معاً.هنا فقط أحست أنها تفقده وتفقد معه كرامتـــها وعـــامين طويلين من السعادة.

سحقًا لكل شيء،لن تحادثه بعد الآن وإذا حادثهـــا هـــو ستخبره أنها النهاية التي اختارها هو،فإما أن يعطيها ما تحتاج إليه من الاهتمام والحب والمشاعر في مقابل ما تعطيه،وإما أن ينـــهيا كل شيء، ويصبحا أصدقاء..أصدقاء؟ ومتى انحسر الحـــب إلى صداقة؟..إنها لا تعرف، ولكنه قرار أخير لن ترجع فيه.ولكـــن لـــمَ كل هذا البكاء إذًا ؟ أحقاً لن تـــراه؟ألن تـــسمع صـــوته

الحبيب؟ألن تشعر باللهفة وهي تنتظر مكالمته؟وماذا ستفعل في أيامها بعد أن كانت تحيا من أجله؟!

- " يجب أن تتغلبي على هذا الضعف،هو الذي أراد ذلك فهو الخاسر،لن يجد من يحبه ويفهمه مثلك سيشعر بالندم وسيعود "

- "أحقًا سيعود؟سيملأ حياتي مرة أخرى، سأراه وأ..." تباً لكِ من حمقاء غريرة،يجب أن تقاومي هذا الضعف الذي ترديت فيه، لم يعد لكِ و لم تعودي له،كفاكِ فأنتِ الآن أحسن حالاً،أنت الآن حرة بإمكانك أن تفعلي ما يحلو لكِ دون خوف ودون قيود،لست مرتبطة بشخص واحد يحدد لكِ حياتكِ"

- "ومن إذًا سيفعل؟لقد أصبحت معتادة عليه في كل شيء، لم أكن أحمل هماً لهذه الدنيا ما دام فيها،لا يهم ما يحدث وما أفقد وهو معي،من سيقوم بهذا الدور بعد الآن؟من سيمنحني ذلك الإحساس؟من أين لي بمخلوق في مثل روعته.لن يملأ ذلك المكان سواه، أحبه ... أحبه ".

ومضى اليوم في صراع مستمر، لم تستطع النوم فقضت ليلة كئيبة بين أفكار وبكاء حتى الصباح .

الخميس، الرابعة ظهرًا:

ذهبت لتتسوق وتشتري كل ما يكره،ملابس ضيقة وحلـــي ملفتة،ثم بعد ذلك ستذهب لقص شـعرها،ثم تغّـير لونـه إلى الأصفر الصارخ،إنه يكره كل هذه الأشياء. ستفعل كـــل مـــا يكره،ستتخلص من قيوده،وليبحث هو عنها..تركت تليفونهـــا المحمول في البيت، لم تغلقه رغم تأكدها أنه لـــن يجـــد الوقـــت ليحادثها،فهو مشغول دائمًا،وهي أيضًا تغيرت، وعندما يعود لن يجدها في انتظاره،سيجد فتاة أخرى.

الخميس، العاشرة مساءً:

تجلس مع أصدقائها في ذلك المكان الـــصاخب، يتحـــدثون ويضحكون ولكنه ما زال معها،ما زال بداخلها فكـــل شـــيء يذكرها به،كلمة أطلقها أحد الجالـــسين،أغنية لهـــا ذكريـــات معهما،ألوانـــه المفضلة،ملابـــسه،عطره..مـــا زال في مكانـــه بداخلها،هي التي أوهمت نفسها بعكس ذلك،لم يختـــفِ مـــع شعرها المقصوص،ولم يذهب رغم تلسك الملابـــس والحلـــي

الملفتة،كل من رآها كان يتساءل عن سر هذا التغير المفاجئ فتخبرهم أنه الملل..الرغبة في التجديد وبداخلها إجابة واحدة... الرغبة في النسيان .

الجمعة، الرابعة فجراً :

" أين أنت أيها النوم اللعين ؟!!" .

رباه.. لم كل هذا العذاب،أنت تعلم أني أحبه ولكنه هو الذي تغير،هو الذي أراد النهاية و لم يترك لي أي خيار،أريد أن أفقد الذاكرة،أو أن أعود بالزمن عامين إلى الوراء فلا أقابله.

مالي وكل هذا العذاب،لن أحتمل .. لن أحتمل .. .

الجمعة، الثالثة ظهراً :

" ولتذهب إلى الجحيم أيها العقل،أحبه وأريده وسأقبله رغم كل شيء،رغم انشغاله وبروده وفتوره،أحبه ولن أحيا بدونه،

سأحادثه فلم أعد أستطيع الاحتمال أكثر من هـــذا ".وعنـــدما سمعت أحب الأصوات هتفت "وحشتني يا حبـــيي وحـــشتني قوي، في كلام كتير عايزة أقولهولك بس عايزاك تعرف حاجـــة واحدة بس : إني بحبك .. بحبك مهما حصل وهفضل أحبـــك على طول" .

و... كلمة...

إذا كنت مازلت مصرًا على القراءة حتى هذه الصفحة، فعليَّ إذًا أن أخبرك شيئًا عن هذه القصص وعن "محمد متولي" الذي كتبها والذي ليس بالطبع "محمد متولي" الذي يكتب لك هذه السطور الآن.

بدأتُ كتابة هذه القصص عام ١٩٩٨. كنت لا أزال طالبًا في أول سنوات الجامعة، أحمل براءة أعوامي التسعة عشر وحساسية شديدة وانطواء، مما جعل عالمي الصغير يدور في فلك أمي وإخوتي الأربعة. كنت متأثرًا برومانسية كلاسيكيات الأدب العربي والغربي، مهتمًا اهتمامًا خاصًا بعالم المرأة.

لا أستطيع أن أنكر دهشتي وأنا أعاود قراءة هذه القصص وكأني لم أكتبها!!

يمكنني الآن أن أقول أنني لم أكتب هذه القصص، بل كتبها "محمد متولي" آخر لم يبقَ منه إلا بعض الشبه في الشكل والصفات.وبالرغم من أن هذه القصص تحمل قدرًا كبيرًا من الرومانسية قد تصل إلى حد السذاجة، إلا أني سعيد بها أشد السعادة، فلم أعتد التنكر لمرحلة ما من حياتي.

والآن يجب عليَّ الاعتذار لبعض الأشخاص (همـــا عـــارفين نفسهم كويس) إذا كانت هذه القصص قد تسببت لهم في شيء من الحزن أو خيبة الأمل.

إنما أنا الذي لم يعد له وجود...

محمد متولي

الفهرس